وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل. م. د) تخصص: لسانيات الخطاب

الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية

أسلوب الالتقات -أنموذجا-

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور

عوليا صالحي غريبي صالح

اللجنة العلمية

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
حاج بن سراي	أستاذ محاضر -أ-	جامعة العربي التبسي ـ تبسة ـ	رئيسا
غريبي صالح	أستاذ تعليم عالي أ. د	جامعة العربي التبسي ـ تبسة ـ	مشرفا ومقررا
سعاد عطاء الله	أستاذ محاضر -ب-	جامعة العربي التبسي ـ تبسة ـ	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2018 / 2019

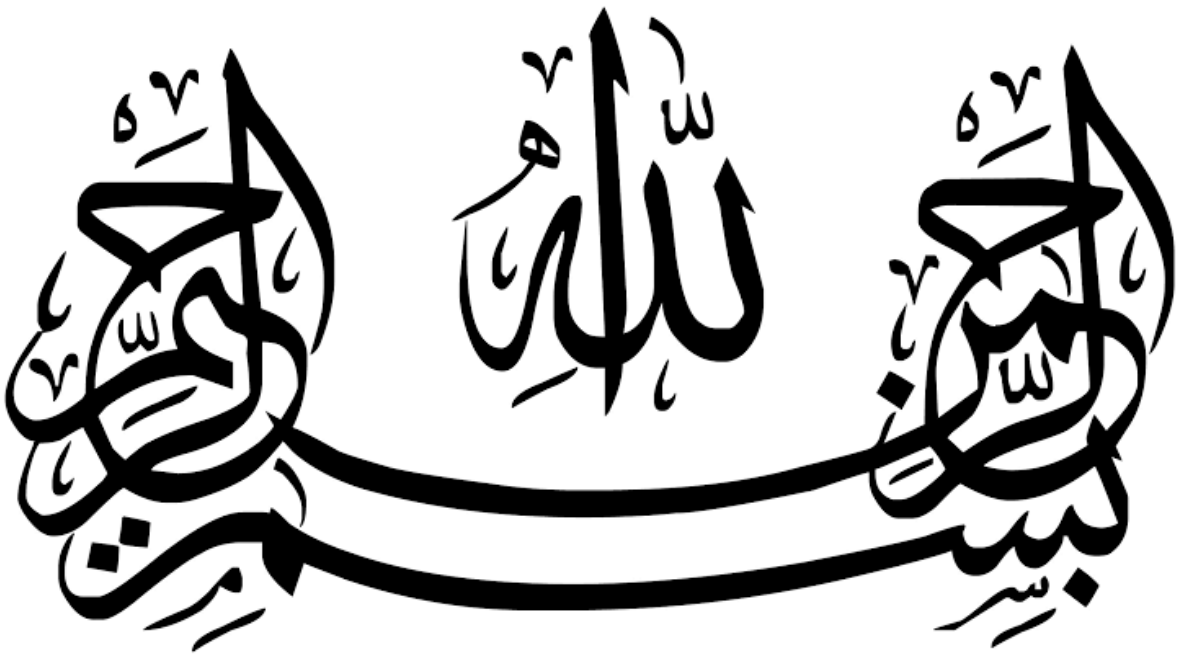
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى، إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة **أبي الغالي** على قلبي اطال الله في عمره.

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني حق الرعاية، وكانت سندي في الشدائد، وكانت دعواها لي بالتوفيق تتبعني خطوة خطوة في عملي، إلى من ارتحت كلما تذكرت ابتسامتها في وجهي، نبع الحنان **أمي أعز ملاك** على القلب والعين جزاها الله عني خير الجزاء في الدارين.

إليهما أهدي هذا العمل المتواضع كي أدخل على قلبهما شيئا من السعادة إلى أخي علي إلى أختاي مريم وأماني الذين تقاسموا معي عبء الحياة.

كما أهدي ثمرة جهدي لصديقتاي **وفاء ونجوى** اللتين كلما تظلمت الطريق امامي لجأت إليهما، فأنارتاها لي، وكلما دب اليأس في نفسي زرعتا فيَّ الأمل لأسير قدما.

إلى كل من يؤمن بأن بذور نجاح التعبير هي في ذواتنا، وفي أنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل: خالاتي وأخوالي، عماتي وأعمامي، جداتي وأجدادي رحمهم الله، كتاكيتي الصغار الذين لا أستطيع التخلي عنهم: تقي وشهد، تسنيم، آلاء وإبراهيم، أروى ورؤى، جنى وأسيل ويحي، وسنجوبي الصغيرعبد الرحمان.

شكـــر وعـــرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضله فله الحمد أولا وآخرا.

ثم أشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لي يد المساعدة خلال هذه الفترة وفي مقدمتهم أستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور "**غريبي صالح**"، الذي لم يدخر جهدا في مساعدتي، فقد فتح لي بيته، كما هي عادته مع كل طلبة العلم، كنت أجلس معه الساعات الطوال أقرأ عليه ولا يجد في ذلك حرجا، وكان يحثني على البحث، ويرغبني فيه، ويقوي عزيمتي عليه، فله من الله الأجر ومني كل تقدير، حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية ونفع بعلومه.

كما أتقدم بالشكر للصديق الحبيب "**محمد**"، فكما يقال ليس في الحياة أجمل من صديق صالح مخلص، ينصحك ويقف بجانبك، فهنيئا لي بك أيها الصديق.

كما أشكر القائمين على جامعة العربي التبسي وعلى رأسهم معالي الدكتور "**رشيد سهلي**" عميد كلية الأدب، ووفقه الله ووفق الجميع لكل خير بذلوه من اهتمام بطلاب كلية الأدب بصفة عامة وطلاب الدراسات الجامعية العليا بصفة خاصة.

مـــقدمـــة

مقدمة

الحمد لله الذي علم البيان والصلاة والسلام على المبعوث بالتبيان.

أما بعد، فاللغة ظاهرة اجتماعية ثقافية مكتسبة، وهي وسيلة للتعبير عن الحاجيات والأغراض، والأفكار، وأداة لحفظ التراث الإنساني، ونقله من جيل إلى آخر، كما أنها أداة التفكير، فالصلة بينها وبين الفكر وثيقة؛ إذ إنها تعطي الفكر الشكل والمضمون وتضفي عليه طابع الوجود، وهي أداة العقل في التحليل والتركيب والاستنتاج ... وهي وسيلة التأثير والإقناع والتذوق الفني ... على أساس أن اللغة منظومة من مهارات متنوعة منها اللغوي والعقلي والأدائي.

ومن هذا المنطلق فاللغة لها من الصلاحية والتطور البعيد ما يناسب الحياة نفسها في اتساع ميادينها وتعدد اتجاهاتها وسرعة خطاها.

وتولي الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغة العربية اهتماما خاصا لتطوير القوى العقلية من خلال المحتويات التعليمية ومعالجتها لغويا، على أساس أن البلاغة تؤدي بعضا من وظائف اللغة حيث تهدف إلى التمكين من تذوق الأساليب وفهم خصائصها ومزاياها...

ومن هنا ترتبط اللغة بالفكر ارتباطا وثيقا، فأفكار الإنسان تصاغ دوما في قالب لغوي حتى في حال تفكيره الباطني. وانطلاقا من هذه العلاقة تنقسم لغات العالم إلى عائلات لغوية، تتمثل في: لغات اصطناعية تحاكي الأنظمة اللغوية التي تطورت طبيعيا على مدى زمني أطول، ولغات البرمجة: وهي أساليب معيارية؛ لإيصال التعليمات إلى الحاسوب واللغويات: وهي علم دراسة اللغات البشرية من حيث تاريخها، وبنيتها "نحوا، وصرفا"، ونظاما صوتيا، وكتابة.

ومن أهم تلك اللغات اللغة العربية، فقد حمل العرب الإسلام إلى العالم، وحملوا معه لغة القرآن العربية، واستعربت شعوب غرب آسيا، وشمال أفريقيا بالإسلام، فتركت لغاتها الأولى وتأثرت بلغة القرآن؛ أي أن حبهم للإسلام هو الذي عربهم، فهجروا دينا إلى دين وتركوا لغة إلى أخرى؛ فشارك الأعاجم الذين دخلوا الإسلام عبء شرح قواعد العربية وآدابها، فكانوا علماء النحو، والصرف، والبلاغة بفنونها الثلاثة "المعاني، والبيان، والبديع" ومرّ دهر طويل كانت فيه اللغة العربية هي الحضارة الأولى في العالم.

إن القرآن الكريم بالنسبة إلى العرب جميعا كتاب هداية، لبست فيه لغتهم ثوب الإعجاز، على أساس أنه نزل بلسان عربي مبين فقد كان العديد من العلماء الأجانب يشيرون بأهمية العربية، من ذلك قول الفرنسي "إرنست رينان": «اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة، ولا شيخوخة» ونجد أيضا الألماني "فريتاغ" يقول: «اللغة العربية أغنى اللغات العالم» وهذا "وليام ورك" هو الآخر يتحدث عنها؛ فيقول: «إن للعربية لينا ومرونة، يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر»، وغيرهم كثير، ممن تحدثوا عنها والسبب يرجع لكونها لغة القرآن.

انطلاقا من هذه العلاقة بين طبيعة البلاغة وعلاقتها باللغة والتفكير جاءت هذه الدراسة محاولة للإسهام في الدرس البلاغي والموسومة بـ: "**الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية أسلوب الالتفات أنموذجا**".

ومما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع بالذات عدة أسباب، أهمهما وأبرزها:

- أن اللغة القرآنية جعلت العربية ترتقي إلى أفضل، وأرقى، وأسمى الدرجات.
- الوظيفة الإبلاغية مصطلح حديث في الدراسات اللغوية المعاصرة، استخدم في اللغات البشرية، أثناء دراستها، ولم يتم التعرض له في اللغة القرآنية.
- أن الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية تكشف عن أوجه الإعجاز البلاغي لكلام الله عز وجل، الذي لا يظهر إلا فيها.

ومن هذا المنطلق تم طرح إشكالية الموضوع في جملة من التساؤلات الآتية:

- ما هي اللغة القرآنية؟ وما خصائصها؟
- هل تتوافق خصائص اللغة القرآنية مع خصائص اللغة العربية؟
- ما هي الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية؟
- هل الوظيفة الإبلاغية هي نفسها في جميع سور القرآن؟

هي جملة من الأسئلة العلمية التي تمثل طبيعة الموضوع؛ وتقتضي الدراسة الإجابة عنها وهو ما تم عرضه في هذا البحث المتواضع، من دراسات قديمة، فقد سبق في دراسة اللغة

القرآنية العديد من العلماء، أهمهم: الخليل وسيبويه والجاحظ وعبد القاهر الجرجاني والباقلاني والزمخشري ... وغيرهم من علماء الإعجاز وبخاصة علماء الكلام، ومن الدراسات الحديثة والمعاصرة.

دراسة "عز الدين البوشيخي" الذي تناول بالدراسة العلاقة بين اللغة العربية واللغة القرآنية للكشف عن وجه جديد من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال تفسير ظاهرة " الإعجاز ألنسقي"، وهو ما تحدث عنه "الجرجاني" في دراسته لظاهرة النظم القرآني.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج وصفي بإجراء تحليلي يربط الدرس اللغوي بالدرس البلاغي الحديث القائم على تقديم المعرفة اللغوية من خلال عمليات ذهنية تأملية من فهم الدرس اللغوي وتنمية مهارات التفكير بمستوياتها المختلفة.

كما واجهتنا بعض الصعوبات أثناء العمل نذكر منها:

- ندرة الدراسات الحديثة في هذا الموضوع.
- تحدي الوقت، والضغط النفسي.

ومن هنا فالبحث مقسم إلى مدخل وفصلين في كل واحد منها عدد من الأفكار الأساسية:

- تناول المدخل: التعريف بمراحل الدرس الوصفي للغة (التفكير البلاغي لعلماء اللغة أو النحاة)"، حيث تناول في الأولى الحديث عن مرحلة "الخليل"، و"سيبوبه"، وفي الثانية الحديث عن مرحلة المدارس النحوية، كما خصص الحديث عن المدرسة الجاحظية، أما الثالثة والأخيرة فقد كانت حول الوظيفة الإبلاغية، بصفة عامة وتحديدا عند "الجرجاني" الذي كانت له الأسبقية، والأفضلية في بداية هذه الدراسة.
- ثم بعد ذلك تناول الفصل الأول في الحديث عن "الوظيفة الإبلاغية للغة" وقسم إلى مبحثين:
- تناول المبحث الأول الحديث عن "اللغة العربية وخصائصها"، وفيه عنصران، تمثل الأول في مفهوم اللغة العربية، فيما تمثل الثاني في خصائص اللغة العربية، أما المبحث الثاني فكان موسوما بـ: "اللغة القرآنية وخصائصها"، وتناول ثلاثة عناصر: تمثل العنصر الأول في:

مفهوم اللغة القرآنية، والثاني في خصائص هذه اللغة، أما الأخير فتناول المقارنة بين خصائص اللغتين العربية والقرآنية؛ وذلك لمعرفة مدى تميز وتفرد اللغة القرآنية عن اللغة العربية من الاتفاق في شكل الاستخدام وإثبات أن لكل منهما خصائص، متميّزة عن الأخرى.

- أما الفصل الثاني والأخير فقد تناول الحديث عن "الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية في أسلوب الالتفات وبلاغته في سور الحوا ميم"، كما تم التعرض فيه أيضا لمبحثين أولهما حول "أسلوب الالتفات وسور الحواميم"، وقسم إلى مطلبين تم التطرق في الأول للتعريف بأسلوب الالتفات، والثاني للتعريف بسور الحواميم، أما المبحث الثاني فقد وسم بـ"الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية من خلال بلاغة أسلوب الالتفات في سور الحواميم" وقسم إلى ثلاثة مطالب فكان المطلب الأول للحديث عن بعض صور الالتفات الممكنة في سور الحواميم، أما الثاني فكان حول الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية من خلال بلاغة الالتفات في سور "حم السبع"، فيما كان المطلب الأخير حول جدول تفصيلي لصور الالتفات الممكنة في اللغة القرآنية، ووظيفتها الإبلاغية.

وفي ضوء هذا كله استطعنا تقديم جدول يتضمن بعض المصطلحات البلاغية، والقرآنية، لرصد الهدف المنشود من هذا البحث وفق الآتي:

- جمع المادة العلمية عن طريق الاستقراء المباشر.
- تصنيف المادة العلمية.
- لم نكتف بجمع الآراء، وتنسيق الأقوال فقط، بل بذلنا ما بوسعنا من بحث، وتحقيق وتمحيص، وقراءة، فأطلنا التأمل في أقوال العلماء، وناقشنا منها ما احتاجت إليه الدراسة حسب طبيعة الموضوع، وأدلينا برأينا المناسب، مع احترام الرأي الآخر.

ويمكننا القول: إننا لا نزعم بلوغ العلم الكافي، الوافي، والدرجة العالية منه؛ لبيان الإحصاء الدقيق، لموضوع هذا البحث، لكننا لم ندّخر أي جهد في سبيل إعداد ما أعددنا وفي تحري الدقة العلمية خاصة أثناء التهميش، وكذا الأمانة العلمية في إثبات ما أثبتناه وكذا في الرجوع إليه، بعد إعداده للحذف، أو الزيادة، وأملنا بإذن الله أن يكون هذا البيان للموضوع بالصورة

المطلوبة، وأن يستنتج منه ما لم يستنتج من بحوث أخرى تخص هذه الدراسة، وأن يكون ذا فائدة للجميع، وذا معلومات كافية، وبسيطة، وغير معقدة، وافية توصل المعنى المراد إيصاله، وهو معرفة الوظيفة الإبلاغية للغة القرآن الكريم.

وفي الختام نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور "**صالح غريبي**" الذي أشرف على هذا الموضوع من بدايته إلى نهايته وإلى كل من مدّ لنا يد العون، في سبيل إعداد هذا البحث المتواضع. وإلى لجنة المناقشة الموقرة الفاحصة لهذا العمل العلمي المتواضع.

هذا ومازالت الرغبة قائمة في أن نعود إلى كثير من جوانب هذا البحث التي أوجزنا فيها، بشيء من الإفاضة والإشباع إذا ما تهيأت الأسباب لذلك.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المدخل: مراحل الدرس الوصفي للغة

(الدرس البلاغي للغة)

01. مرحلة الخليل وسيبويه

02. مرحلة المدارس النحوية: المدرسة الجاحظية

03. مرحلة الوظيفة الإبلاغية (عبد القاهر الجرجاني)

أولا- مرحلة الخليل وسيبويه

اعتنى علماء العربية عناية كبيرة بكل ما يتصل باللغة، من قريب أو من بعيد، وذلك منذ بدء اهتمامهم، الذي توجه إلى المحافظة على القرآن الكريم، الذي يمثل دستور العربية الخالد ومنطلق العقل العربي، إلى دراسة نصوص اللغة، ومتنها، وقواعدها النحوية، والصرفية والصوتية، والبلاغة.

وقد كانت بداية الدرس اللغوي لغوية، نحوية، مرت بمرحلتين، سبقت المرحلة التي جاء فيها "الخليل (ت 170هـ-786م)" و"سيبويه (ت 180هـ-796م)"؛ حيث تمثلت الأولى منهما في مرحلة التأسيس، ويقصد بها النشأة حيث بدء بنقط الإعراب مع الإعجام، أما الثانية فمرحلة التوسع؛ حيث دخلت إزاءها مناهج جديدة، عن طريق "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ-735م)"، و"أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)"، و"يونس بن حبيب" ... لتأتي بعد ذلك مرحلتا التقعيد، والتدوين؛ ليكون "الخليل بن أحمد" من خلال معجمه المكنى بـ "معجم العين"، والذي كان أول معجم عربي، فتميز، وافرد عن غيره من المعاجم بذلك الترتيب العجيب الفذ، الذي ابتكره "الخليل" للحروف العربية، ذلك الترتيب الذي راعى فيه "الخليل" ترتيب تلك الحروف في النطق.[1]

حيث بدأ ترتيبه بأعمق الحروف في النطق، وأبعدها مخرجا، في تصوره، وهو "العين" ثم تدرج في الترتيب بحسب عمق المخرج، وبعده حتى انتهى إلى أقربها مخرجا، وهي الحروف الشفوية (الفاء، والباء، والميم)، ثم الحروف الهوائية، وهي حروف المدّ (الواو، والألف والياء) أو الجوف كما سماها "الخليل" مضافا إليها الهمزة عنده.

قال "الخليل" في هذا الصدد: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرّب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هته في الهاء، وقال مرة "ههة" لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف من حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الخاء والعين في حيّز واحد كلهن حلقية، ثم القاف والكاف تهويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والراء في حيّز واحد، ثم الطاء والدال والتاء

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مرتبا على حروف المعجم، تر، وتح: عبد الحميد هنداوي، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص: 03.

في حيز واحد ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيّز واحد، ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة لم يكن حيز تنسب إليه»[1]

من خلال ما قاله "الخليل" عن المنهج الذي نحاه نلاحظ أنه اعتمد على الدرس الوصفي أي المنهج الوصفي، وقد تجلى ذلك في اعتماده على ثلاثة أسس في ترتيب وتصنيف كتابه تتمثل في: المخارج، والأبنية، والتقليبات، هذا الترتيب الذي لا يكاد يعرفه أحد من عامة المشتغلين باللغة، وبذلك يكون "الخليل" قد أحصى العربية، إحصاء تاما وهيأ مادة مصنفة معروفة لمن جاء بعده من اللغويين مصنفي المعاجم.

فقد اتسعت المسائل التي تكلم عليها "الخليل" في كتابه لتشمل علوم العربية كلها، من معجم، وأصوات، وفقه، ولغة، ونحو، وصرف، وعروض، وبلاغة، وأدب، ومعرفة بأيام العرب وغير ذلك...[2]

أما بالنسبة للدرس الوصفي للغة عند "سيبويه" أحد تلاميذ "الخليل" فظهر من خلال كتابه المعروف بـ "الكتاب" فمنهج علمي دقيق ويتمثل عميق للمنهج الوصفي، وبسبر الأغوار كتاب سيبويه، وبفهم مستوى لمفرداته استطاع الدكتور "نوزاد حسن أحمد" أن يكشف جانبا مشرقا لكتاب سيبويه، وأن يوقفنا على أسس المنهج الوصفي في الكتب، وأن يوقفنا أيضا على تمثله استعمال هذا المنهج في الدرس اللغوي عنده في المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية وفصّل في قواعد العلاقات النحوية، من قرائن معنوية "كالإسناد، والتخصيص، والنسبة والتبعية"، وقرائن لفظية "كالعلامات الصوتية، والمطابقة، والربط، والتضام، والتغنيم"، وبين قواعد الاستبدال، والتحويل.

فانتهى الباحث إلى جملة من النتائج المهمة، والتي بينت أن قيمة التراث تظهر من خلال الجهد الذي بذله "سيبويه" في جمع مادة كتابه، ودرسها.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ص: 03.

[2] المرجع نفسه، ص: 05.

فالكتاب مرجع لمن يروم البحث في موضوعات علم اللغة، و"سيبويه" قد بدأ البحث اللغوي وفق منهج وصفي دقيق؛ إذ نراه اهتم بالمسموع من اللغة؛ لأن منهجه الوصفي يحتم عليه دراسة اللغة من خلال الكلام، ولذلك ميزّ بين اللغة والكلام.[1]

وبما أن الكلام هو الجانب المستعمل من اللغة في المنهج الوصفي الحديث فإن "سيبويه" قد ربط في أكثر من موضع بين الكلام والاستعمال، فقد أدرك أهمية اللغة المنطوقة، وحمله الاهتمام بها على ملاحظة نطق التغييرات، ومن هنا لم يكن جهده اللغوي بعيدا عن التصنيف الدقيق الذي اعتمده "الخليل" قبلا في معجمه من جهة، والذي هو أحد الأسس التي يعتمد عليها المنهج الوصفي من جهة أخرى، فقد ألزم "سيبويه" نفسه في الاستقراء بمنهج وصفي لصيق بالواقع، متصفا بالعلمية، فكانت السمة الغالبة للقياس في كتابه هي "القياس الوصفي" المعتمد على منطلق اللغة، وعندما نلاحظ كتابه –سيبويه– لا نجد أثرا للمنطق والمقولات الفلسفية في تطبيق هذا المبدأ اللغوي، وحرص على أن تكون بين منهجه والواقع اللغوي جذور مشتركة؛ لذلك اشتملت أحكامه اللغوية بالموضوعية، فقد أدرك أن وظيفة الباحث اللغوي هي وصف الحقائق لأفرض القواعد، فهو رائد في دقة تطبيق هذا المبدأ –الوصفي– فهو ميز في منهجه بين الاستعمالات اللغوية الحقيقة، والتي اقترحها للتوضيح وهي أمثلة موضوعة أطلق عليها مصطلح "التمثيل" وتنبه إلى أن اللغة نظام قائم على مبدأ العلاقات، وأن بنية هذا النظام هي الأصوات التي تنتظم في تشكيل صوتي منسجم لتؤلف الأبنية، لتدخل هذه الأبنية في علاقات سياقية لبناء التركيب النحوي الذي هو غاية الارتباطات الصوتية المتتابعة، وقد قاده –سيبويه– حسه اللغوي إلى التمييز بين علم الصوت Phonetic وعلم وظائف الأصوات Phonology وعالج الظاهرة الصوتية استنادا إلى القوانين الصوتية، فما وصل إليه من وصف الأبنية والتقعيد للأصول المستقراة يعبر عن عمق منهجه الوصفي.[2]

وفي دراسة التراكيب النحوية ظهر له أن الجملة هي بؤرة التحليل اللغوي، واستند في وصف الجملة وتحليل بنيتها إلى القواعد التي يحرص عليها المنهج الوصفي الحديث، وميّز بين البنية السطحية للجملة والبينة التحتية لها، واهتدى قبل المنهج التحويلي بقرون طويلة إلى

---

[1] منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، كتب يوم السبت 19 سبتمبر 2015م، 7:21، أبو أوس إبراهيم الشمسان.

[2] المرجع نفسه.

أن الاقتصار على الجانب الشكلي لدراسة اللغة لا يكفي للإحاطة بوصف كامل للنظام اللغوي وأن وظيفة القواعد التحويلية هي الربط بين التركيب النحوي والعالم الخارجي بملاحظة "تأثير المواقف في دلالات التراكيب وهو ما يعرف في علم اللغة الوصفي (بالمنهج السياقي)"

ومن أهم نتائج البحث أيضا في هذا الكتاب القيّم بيانه أنه لم ينضج الدرس الوصفي الحديث إلاّ بعد قطعه مراحل كثيرة في حين أن هذه المراحل قد وجدت طريقها مرة واحدة إلى كتاب سيبويه.

وختم نتائجه "نوزاد حسن أحمد" بقوله: «وبعد فإن سيبويه قد أرسى باكورة المنهج الوصفي من خلال وضعه لنظرية لغوية متكاملة، وتوضح أصول اللغة وتعبر عن تجربة إبداعية فريدة وتثبت عراقة البحث اللغوي العربي المتمسك للمكونات الفكرية العربية، والمستمد مقوماته في إرث اجتماعي وحضاري متميزين، فالتراث اللغوي العربي مؤهل للتأمل والدراسة كلما انتهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى منطلقات جديدة وأن العودة إلى التراث اللغوي بعين التأمل والنظرة الموضوعية ومن خلال فهم عميق له، كفيلة بأن تمنحنا الحقائق التي ما تزال مجهولة لدى بعض الباحثين»[1]

وبهذا تجلى الدرس الوصفي للغة عند كل من "الخليل" و"سيبويه" في كتابهما "معجم العين" و"الكتاب" من خلال دراستهم واهتمامهم بدراسة اللغة من جوانبها، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي.

ثانيا- مرحلة المدارس النحوية: المدرسة الجاحظية

كان "الجاحظ (ت 255هـ-868م)" غزير العلم ومستوعبا لثقافات عصره لذا كانت مراجعه، ومصادره التي حددت مسار منهجه كثيرة، فهو يعدّ من اللغويين والبلاغيين العرب الذي اسهموا في تشييد الحركة الفكرية العربية، ومن المسلمات أن للجاحظ مؤلفات سعى من خلال إلى وضع لبنة في مسرح المعرفة[2]، فمن بحثوا عن الجاحظ ومؤلفاته، قالوا: بأنه خلّف

[1] منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه.

[2] الدراجي فاضل: الخطاب اللساني عند الجاحظ (مذكرة ماستر)، إشراف: دلولة خلدون، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 2012-2013م، ص: 14.

وراءه كتبا كثيرة، وقيل أنها بلغت حوالي 360 كتابا أشهرها، البخلاء، والحيوان، والبيان والتبيين.

ويعد كتاب "البيان والتبين" أهمها على الاطلاق وأحد أركان الثقافة العربية القديمة أيضا وأحد أهم المصادر الأدبية العريقة لأدبنا العربي القديم، وإلى جانبه كتاب "الكامل للمبرد"، و"عيون الأخبار لأبن قتيبة"، و"العقد الفريد لابن عبد ربه".

ويقع كتاب "البيان والتبين" في مجلد ويضم ثلاثة أجزاء، حرص "الجاحظ" على أن يضع في كل جزء خلاصة معرفته، وثقافته، فقد صب ذلك صبا، وأشار إلى هذه النظرية إشارة توحي بتجربته وخلاصة فكرته:[1]

- يتحدث الجزء الأول عن عيوب النطق، وعيوب الكلام من: لثغة، وتمتمة، وفأفأة، ولكنة أعجمية، وغيرها.
- ذكر كثيرا من أساسيات الفصاحة والبيان والآلات الطبيعية، والآلات المكتسبة، وما ينبغي على المتكلم تجنبه، وما ينبغي على السامع فهمه.
- ثم انتقل إلى الحديث عن ألوان الكلام الذي يدل على البيان والبلاغة والنقد وصناعة الكلام وجمع فيه أقاويل وآراء عن البلاغة عند الأمم القديمة والمجاورة، وأشار إلى أسماء بعض البلغاء والخطباء والأمراء. وقد ضمن حديثه بشواهد شعرية ونثرية.

أما الجزء الثاني، والذي نظن أنه قد قصد به التبيين، فقد خصه للرد على الشعوبية في طعنهم على العرب، وصدر هذا الجزء بأحاديث من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن السلف المتقدمين والتابعين...الخ

وكل ما في الجزء الثاني ينبئ بأن الجاحظ أراد أن يبين للشعوبية قوة لغة العرب وقدرتهم على الكلام والتوضيح، فهو ينقلك من كلام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى خطابة الصحابة ورسائلهم، وإلى كلام التابعين، والسلف الصالح، والخلفاء، ومنه إلى كلام الأعراب، والفصحاء، سواء أكان ذلك شعرا أو نثرا ثم إلى كلام الزهاد والنساك...

[1] ملخص كتاب البيان والتبيين، المستقبل نصنعه، 10 جانفي 2019م، 14:00.

أما الجزء الثالث فقد قصد فيه الجاحظ فيما يبدو التبيين؛ حيث صدره بكتاب "العصا استعمال لها" وتحدث عن فوائدها في إشارات وفي حوارات قصصية ممتعة.[1]

وقد رد أيضا "الجاحظ" في هذا الجزء على الشعوبية وطعنهم في العرب واستعمالهم للعصا في حياتهم، واعتمادهم عليها في خطوبهم، وكالعادة فقد حشا الكتاب بألوان كثيرة من الخطب، وأقوال الأعراب، والنساك، والزهاد...

والكتاب فيه تقسيم فكري لموضوعاته، وفيه رؤيا ريد الجاحظ أن يوصلها للقارئ من خلال "البيان" والذي يعني الإفصاح والايضاح، والتفهيم. وعلى الرغم من تداخل هذه النظريات بعضها ببعض في عمق كل جزء إلا أن الجاحظ قد قصد إليها قصدا، وهذا ما هو إلا افتراض منا؛ لأنه ليس لدينا مفاتيح قواعده، وإنما من خلال حججنا للأجزاء الثلاثة للكتاب.

"والبيان والتبيين" يعكس الصورة الثقافية لعصر الجاحظ، وكذا لمدرسته، التي كُنِّيَت بـ "المدرسة الجاحظية" نذكر من بين تلك المميزات:

- مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالجاحظ ألزم المتكلم بمعرفته أقدار المعاني، والموازنة بينها وبين أقدار المستمعين.
- البيان والابتعاد عن حواشي الكلام وغريبه.
- الاستطراد؛ أي الانتقال من موضوع إلى آخر ومن ثم الرجوع إلى الموضوع الرئيس الذي يتحدث عنه.
- مزج الجدّ بالهزل، والضحك والمرح.[2]
- العناية بالألفاظ وتراكيب العبارة والجمل بلا تكلف أو تصنّع.
- التلوين الصوتي أو الموسيقي الذي يعتمد على السجع.
- الاعتماد على الترادف وكذلك الجمل الاعتراضية.
- الاقتباس من القرآن الكريم والتضمين من الحديث الشريف، والأمثال، والحكم، وكذلك الشعر.
- الاقتصاد في الزحافات اللفظية والمعنوية.
- التقليل من التنقيح، والتهذيب في الكتابة.

[1] ملخص كتاب البيان والتبيين، المستقبل نصنعه، 10 جانفي 2019م، 14:00.

[2] المرجع نفسه.

- الابتعاد عن الألفاظ العامية، أو الساقطة، وكذلك الغريبة.
- الصدق والواقعية بين اللفظ والمعنى.
- امتياز أسلوبه بالتصوير البارع والوصف الحاذق.[1]

سبق وقلنا أن للجاحظ العديد من الكتب المتنوعة، في مجالات مختلفة، في علم الكلام، والأدب، والسياسة، والتاريخ، واللغة...فتميز أسلوب هذا الأخير والذي كان وصفيا بالدرجة الأولى؛ فاكتسب الخلود، فقد خلق –الجاحظ– فنا جديدا بذلك من الكتابة، لم يسبق أن تطرق إليه أحد من قبل، فقد اعتمد أسلوبين، الأول أنيق ويكاد يكون محصورا ومقصورا على مقدمات كتبه، ومطالع فصوله، ودليل ذلك كما ذكرناه في ملخص كتاب البيان والتبيين، والثاني يجري به على السليقة، ويعالج به الموضوعات التي تناولها فتفرد "الجاحظ" بخصائص، ومميزات ظهرت معظمها، وإن لم نقل كلها في كتاب البيان والتبيين، جعلته يتربع فوق قمة عليا، ومسيرة الأدباء على هذا الدرب، تتتابع وتستمر حتى عصرنا الحديث، ويتطلع إليها طلاب الأدب في عصره، وما تلاه من عصور.

ثالثا– مرحلة الوظيفة الإبلاغية (عبد القاهر الجرجاني):

لا شك أن المنهج الذي اتبعه "عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ–1078م)" جديد، وجدير بالدراسة، والبحث؛ لأنه يمثل طريقة جديدة في تناول المسائل النحوية} حيث مكن ذلك من بلورة نظرية متكاملة في الإعجاز القرآني، ألا وهي "نظرية النظم" التي تقوم على توخي المعاني النحوية في أجزاء العبارة اللغوية، والتي تفضي إلى الكشف عن أسرار إعجاز القرآن الكريم.[2]

لم يكن ما قدمه الجرجاني للغة العربية بالقليل ولا بالهين، وجاء ذلك في عديد كتبه، إلا أن الكتاب الأبرز هو كتابه المعنون بـ "دلائل الإعجاز" والذي ألف من أجل بيان وجه الإعجاز في القرآن الكريم، فكانت مادة هذا الكتاب الأولى هي القرآن الكريم، فاعتمد "الجرجاني" في كتابه هذا على عالمين جليلين، وهما: "سيبويه"، و"الجاحظ"، فهو لم ينتفع بما جاءا به في

[1] ملخص كتاب البيان والتبيين، المستقبل نصنعه، 10 جانفي 2019م، 14:00.

[2] تقزوت سامية وسكري أمال: منهج النحو عند عبد القاهر الجرجاني في دراسة اللغة العربية من خلال كتابه دلائل الإعجاز، (مذكرة ماستر)، إشراف: صباح الجودي، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر، كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، 2015–2016م، مقدمة الرسالة، ص: أ

الجزيئات فقط، وإنما أدخلهما عنده في صلب مادته، فقد ذكر "الجرجاني" قبل أن يبدأ دراسته أن كل من "سيبويه" و"الخليل" بلغا في الفقه مبلغا لم يسبقهما إليه أحد، ولم يلحقهما فيه أحد، ثم ذكر "الجرجاني" أن "الجاحظ" بلغ وتفرد في الشعر كتفرد الشيخين في علم معاني النحو.[1]

كانت بدايات "الجرجاني" في بحثه هذا تتكئ على ذخيرة ثقافية واسعة في النحو واللغة، ما جعله يدرك عيوب الدرس النحوي عند معاصريه، فوجد أنّ التشكيلة والفصل بين اللفظ والمعنى أساء إلى الدرس الأدبي اللغوي، ولاسيما بعد أن أهمل المعنى في دراسته للظاهرة اللغوية تحت تأثير سيطرة المنطق، فذهب يؤكد أن الألفاظ تخدم المعنى، وهذا بدوره قاده للكشف عن الدور الذي تقوم به العلاقات السياقية، فعمل على إبرازها، وإبراز أهميتها، وتعزيز دورها، من خلال الأمثلة والشواهد.

فعبد القاهر الجرجاني يرى أن النظم لا يكون بالمعنى وحده، ولا باللفظ وحده، وإنما بوضع الكلام الموضع الذي يقتضيه علم النحو.[2] فيقول معرفا للنظم: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو»[3]، ومن هذا تتجلى وتظهر أول نقطة في مفهوم "الجرجاني" للنظم هي "الدلالة النحوية"، أما النقطة الثانية في ذلك فهي "الموقعية"؛ حيث يقول: «إنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع السماك، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ إذا استحقت ذاك في ذاتها، على انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا»[4]، ومعنى هذا أن "الجرجاني" يلتفت إلى اكتساب الكلمة دلالاتها المتميزة من تفاعل

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، ط01، 2007م، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص: 25.

[2] تقزوت سامية وسكري أمال: منهج النحو عند عبد القاهر الجرجاني في دراسة اللغة العربية من خلال كتابه دلائل الإعجاز، ص: 09.

[3] المرجع السابق، ص: 24.

[4] المرجع نفسه، ص: 24.

التصور فيها مع التصورات الأخرى من الأسماء والصفات والأفعال في جو معين (الموضوع، والمجال، والآفاق مادية أو ذهنية أو نفسية) وفي علاقات زمانية ومكانية وشخصية.[1]

أما النقطة الثالثة الواضحة حسب "الجرجاني" في مفهوم النظم فهي: توجيه –الجرجاني– الدارسين للبحث في الدلالات الجديدة، والدلالات الخاصة، التي تبدأ تطورا ثم تزداد نموا ويمكن أن تشكل حركة حيوية للاستعمال اللغوي، وطبقات الدلالة في جميع المجالات.[2]

كان منهج الإمام "الجرجاني" في تراثه النحوي واللغوي عظيم، فقد تعرض لنتائج وخلاصات واستنتاجات في الدراسة اللغوية العربية، والتي تعرض لها علماؤنا بطرق حديثة، وهي "نظرية النظم"؛ فمصطلح أو نظرية النظم قديم في التراث العربي، وأول من قال بها ووقف عندها "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" ثم تابعه عليها طائفة من العلماء، لكن الإمام "الجرجاني" قد فاق هؤلاء بإجلائه هذه النظرية، فقد تبلورت –النظرية– على يديه، خاصة في كتابه "دلائل الإعجاز" وذلك تم بسبب تعدد ثقافة "الجرجاني" في مباحث النحو، والبلاغة، واللغة، والإعجاز، فاتّسم منهجه بتجاوزه للطلاقة اللغوية، أو الحكم بالصحة والفساد، وعلى التراكيب اللغوية، رغم هذا "فالجرجاني" لم يصرّح أبدا بمذهبه النحوي، لكن الواضح من دراسته أنه يميل للمدرسة البصرية لكونه تحدث عن "سيبويه" و"الخليل" وذكرهم كثيرا في أكثر من موضع.[3]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 24.

[2] المرجع نفسه، ص: 25.

[3] أحمد عاطف محمد كلاب: منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية دراسة تحليلية، (رسالة ماجستير)، إشراف: فوزي إبراهيم موسى أبو فياض، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2013م، ص: 159.

الفصل الأول: الوظيفة الإبلاغية للغة

1. المبحث الأول: اللغة العربية وخصائصها
2. المبحث الثاني: اللغة القرآنية وخصائصها

المبحث الأول: اللغة العربية وخصائصها

أولا مفهوم اللغة:

ورد في المعجم الوسيط مفهوم اللغة كالآتي: «اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. ج: لغى، ولغات، ويقال: سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم»[1]، فمن خلال هذا التعريف نستنتج أن المعجم الوسيط كان به الرؤية نفسها التي كانت لابن جني؛ فاللغة عبارة عن مجموع أصوات، يعبر بها كل فرد عن أغراضه، وعما في نفسه، حيث يقول "ابن جني" في هذا الخصوص: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدها وأما اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها، أمواضعة هي أم إلهام، وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت؛ أي تكلمت، واصلها لغوة ككرة، وقلة، وثبة /.../ وقيل منها لَغى يَلْغَى إذا هذى، ومصدره اللَّغا، قال:

ورَبٌّ أسراب حجيج كظم عن اللَّغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ أي بالباطل، وفي الحديث: ﴿من قال في الجمعة صه فقد لغا﴾» أي تكلم وفي هذا كاف [2]، "فابن جني" في كتابه "الخصائص" قد وضع حدا في تعريفه للغة العرب، يتمثل هذا الحد في أنها أصوات موجودة عند أي فرد، بحيث يمكن له –الفرد– التعبير عن أغراضه، واحتياجاته.

أما في كتاب "الصاحبي" في فقه اللغة لـ "ابن فارس" فورد الآتي: «قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [3] فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان وقال جل وعلا: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [4] فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه، فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

---

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، باب اللام، ص: 831.

[2] ابن جني: الخصاص، تر: محمد على النجار، ج01، (د، ط)، 1952م، دار الكتب المصرية، مصر، ص: 33.

[3] سورة الشعراء، الآيات: 192–195.

[4] سورة الرحمان، الآية: 3، 4.

وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقدير، والتأخير، وغيرها من سنن العرب في القرآن، فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية»[1] معنى هذا أن "ابن فارس" يُجِّلُ ويُعْلِي من مكانة اللغة العربية، اعتمادا على اللغة القرآنية فهي بالنسبة له أسمى اللغات، وقد قرنها في تعريفها بما جاء في قوله عز وجل "البيان".

أما في كتاب "فقه اللغة وخصائصها" لـ "إميل يعقوب" فورد الآتي: «لم يتفق علماء اللغة على تعريف واحد للغة، ويعود عدم اتفاقهم إلى ارتباط علم اللغة بعلوم عدة، أهمها: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق، والفلسفة، والبيولوجيا، وغيرها، فكان كل عالم ينظر إلى اللغة من زاوية العلم، الذي يعمل في ميدانه، فنظر فريق من الباحثين إلى اللغة من الزاوية الفلسفية المنطقية، ونظر إليها فريق آخر من الناحية العقلية النفسية، كما عالجها فريق ثالث من زاوية وظيفتها في المجتمع، ولكل فريق آراؤه الخاصة في تعريفها، ولعل من أشمل تعريفاتها التعريف القائل: اللغة ظاهرة سيكولوجية، اجتماعية، ثقافية، مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز، صوتية لغوية، اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل»[2] نستنتج أن "إميل يعقوب" لم يورد تعريفا محددا للغة، فعلى حدّ قوله أن علماء اللغة لم يتفقوا على وضع تعريف واحد محدد للغة يرجع سببه إلى ارتباط اللغة بعدة علوم، ما صعّب على العلماء تحديد وحصر تعريف لها، وعلى حد قوله أيضا أنه بالرغم من ارتباطها –اللغة– بعديد العلوم فقد أجمعوا عليها، لأنه لا يكاد يخلو علم منها.

أما "أنيس فريحة" في كتابه "نظريات في اللغة" فتحدث عن مفهوم اللغة، في حدّ ذاتها فقط ثم عن اللغة العربية، وقال الآتي: «تعرف هذه اللغة العربية الفصحى بأسماء متعددة منها العدنانية الشمالية، مقابلة لها، بالقحطانية الجنونية، كما أنها تعرف بلغة قريش، وهي تسمية

---

[1] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسبح، ط01، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 20.

[2] إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، ط01، 1926م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص: 13.

إسلامية، لما كان لقريش من مكانة دينية، واجتماعية، ومهما يكن من أمر تسميتها فهي اللغة العربية الباقية التي استأثرت بعناية اللغويين القدامى حتى يومنا هذا على حساب لهجات عربية أخرى /.../ تنتمى لغتنا العربية إلى عائلة لغوية كبيرة، تعرف باللغات السامية نسبة إلى سام ابن نوح»[1]، "فأنيس فريحة" في هذا الصدد –التحدث عن اللغة العربية– يعدد تسميات اللغة العربية، وينسبها إلى اللغات السامية.

ثم يقول أيضا: «إن أحدث اللغات السامية تدوينا هي اللغة العربية، فإننا نتعرف إليها لغويا بعد جمع القرآن الكريم، وبعد أن جمع الشعر الجاهلي، وبعض الأمثال، من الأمور المذهلة حقا ظهور العربية فجأة على مسرح الحضارة العالمية، لغة تامة نامية متكاملة في صرفها، ونحوها، وبيانها، وسعة مفرداتها، حتى أن كثيرين من المستشرقين يرفضون تسمية العرب القدامى بالجاهليين؛ لأن من كانت لغته العربية على ما تعهدها في القرآن الكريم، وفي الشعر الجاهلي الرقيق، لا يجوز أن ينعت بالجاهل»[2]

وفي هذا القول نرى أن "أنيس فريحة" يربط اللغة العربية بالقرآن الكريم، فحسبه هي لغته، وأيضا بالنسبة إليه فالجاهل هو من لم تكن لغته عربية.

ثانيا: خصائص اللغة العربية

من خلال كل تعريف للغة العربية، نرى خاصية من خصائصها، وميزة من مميزاتها، التي تميزها، عن غيرها من اللغات البشرية الأخرى، كالإنجليزية مثلا أو الفرنسية، أو ... من اللغات.

"فعز الدين البوشيخي" في محاضرات له حول اللغتين العربية والقرآنية ذكر مجموعة من الخصائص؛ فيقول في إحدى المحاضرات المنشورة على تطبيق "اليوتيوب": «تبين الدراسات اللسانية الحديثة وما تعلق معها من علوم هي ضمن علوم المعرفة كالأنثروبولوجيا ... أن ثمة مستويين يتعالقان فيما بينهما، فيما يتعلق بإنتاج اللغة:

[1] أنيس فريحة: نظريات في اللغة، إشراف: ريمون طحان، وأنيس فريحة، ط02، 1981م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص: 64، 65.

[2] المرجع نفسه، 66.

1. مستوى التفكير.
2. مستوى التعبير.

وهما لا يتطابقان دائما، ولكنهما يتفاعلان في مستوى الذهن، والأداء، وهذا معناه أن اللغة العربية تختلف عن باقي اللغات، ويرجع في جزء منه إلى اختلاف التصورات القائمة خلف هذه اللغات؛ وذلك للعلاقة الوطيدة القائمة بين اللغات، والتصورات، القائمة وراءها.

- كل لغة بشرية عربية كانت أم غير عربية محكومة بقيدين:

1. قيد معرفي (أبستيمولوجي): ومعناه أن المتكلم لا يستطيع أن يتكلم، أو يتعدى ما كان مخزنًا في ذاكرته المعرفية.
2. قيد وجودي (أنطلوجي): ومعناه أنه يتحتم على المتكلم ألا يتكلم إلا عما كان ممثلا في ذهنه، تمثيلا وجوديا.

ومعنى هذا أن للغة العربية قيدين: معرفي، ووجودي، يتحكمان فيها، ويميزانها عن باقي اللغات»[1]

«–ومن بين خصائصها أيضا أن اللغة العربية مبينة بناء منتظما ضمن تصور معين مثل التحدث عن معجم من معاجم اللغة العربية، فضمنه توجد حقول معجمية، وهي التي تنتظم داخل التجربة الإنسانية العربية، وكل كلمة داخله –المعجم– ترتبط بكلمات أخرى، تؤدي إلى حقول أخرى، وهذا البناء والخاصية لا توجد في لغة أخرى، مثل: الإبصار = شاهد = نظر = حملق = رأى = حدّق = ... فتجربة العربي معكوسة في معجمه.

– أن اللغة العربية ليست معزولة لا عن محيطها، ولا عن السياق الذي وجدت فيه، فالكلمة تكتسب المعنى من محيطها، وداخل سياقها، مثل: العبارات المسبوكة، أو الأمثال الشعبية، حتى إن ترجمتها إلى لغات أخرى متعذرة، وهذا ما يميز اللغة العربية عن باقي

[1] عز الدين البوشيخي: لغة القرآن رؤى جديدة، قناة التفسير، اليوتيوب، 23 مارس 2019م، 12:00، مركز تفسير الدراسات القرآنية، اللقاء 17، تق: يوسف بن صالح العقيل، ديوانية الأستاذ عبد الله السدي بحي النفل.

اللغات»[1]، من خلال ما قاله "البوشيخي" يتبين أنه حصر خصائص اللغة العربية العديدة في أهم نقاط تتمثل:

- اللغة العربية، والتصورات القائمة وراءها مخالفة لباقي اللغات، وتصوراتها.
- اللغة العربية محكومة بقيدين أحدهما معرفي، والآخر وجودي.
- اللغة العربية مبينة بناءً منتظما، ضمن تصور معين، لا يوجد هذا التنظيم في غيرها.
- أن اللغة غير معزولة، لا عن بيئتها، ولا عن سياقها الذي قيلت فيه.

وعموما يبقى هذا رأي "عز الدين البوشيخي" في تحديده خصائص اللغة العربية، فرأيه هذا وفق الدراسات اللسانية الحديثة، أما سابقوه مثل "إميل يعقوب" فكان رأيهم حسب الدراسة في وقتهم ذاك.

أما "إيميل يعقوب" فقد افرد لها عنوانا في كتابه "خصائص اللغات السامية" فهو الآخر يعدها من اللغات السامية؛ لأنها حسب رايه أقرب إلى اللغة السامية القديمة.[2] يقول في هذا الصدد خصائص اللغة العربية: «تشترك اللغات السامية بوجه عام بعدة خصائص تدل من ناحية على وحدة أصلها، وتميزها من ناحية أخرى، عن سائر مجموعات اللغات، ولعل أهم المميزات يعود إلى:

أ- تعتمد في الكتابة على الحروف الصامتة "Consonnes" دون الحروف الصائتة "Voyelles".

ب- تتشابه في تكون الاسم، من حيث عدده، ونوعه، وفي تكون الفعل، من حيث زمنه، وتجرده، وزيادته، وصحته، وهذا غائب في اللغات الأخرى.

ج-ترجع معظم كلمات اللغة العربية إلى أصل ذي ثلاثة أحرف.

د- تختص بالحرفين الحلقيين: الحاء، والعين، وبحروف الطباق: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

هـ- تكاد تخلوا من الأسماء المركبة تركيبا مزجيا، إلا في ألفاظ العدد، مثل: خمسة عشر، بخلاف اللغات الآرية.

---

[1] عز الدين البوشيخي: لغة القرآن رؤى جديدة، قناة التفسير، اليوتيوب، 23 مارس 2019م، 12:00.

[2] إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، ص: 111.

و–تحقق الاشتقاق، إما بتغيير الحركة، وإما بالزيادة في أحرف الكلمة، وإما بإنقاصها، دون أن تلتزم موضعا واحدا في هذا التغيير، بخلاف اللغات الآرية، التي يتحقق فيها الاشتقاق بزيادة أدوات تدل على معنى خاص في الكلمات غالبا.

ز–تتشابه في الضمائر، وطريقة اتصالها بالأسماء، والأفعال، والحروف، وفي صوغ الجمل، وتركيبها، وفي المشتقات، كاسمي الفاعل والمفعول، واسمي المكان والزمان، واسم الآلة كما تتشابه في كثير من المفردات وعلى الأخص المفردات الدالة على أعضاء الجسم، وصلة القرابة، والعدد، وبعض الأفعال، ومرافق الحياة التي كانت منتشرة في الشعب السامي العربي.»[1]

وهذا "أنيس فريحة" هو الآخر تحدث عن خصائص جمّة للغة العربية، فقال: «تمتاز اللغة العربية بخصائص لغوية، تجعل منها لغة غنية، تستطيع أن تساير التطور الحضاري، والفكري، بدليل أن العربية استطاعت في العهود الإسلامية المختلفة أن تستوعب الفكر الدخيل، والعلم الدخيل، وأن تعبر عنهما بلغة صافية /.../ سنتناول ثلاث خصائص بارزة: الاشتقاق، والتصعيد، والتوليد»[2]، ثم يواصل معرفا كل خاصية «أما الاشتقاق فعملية خلق، وإبداع في اللغة، فهي الجذر الواحد، أما المادة الواحدة كما سماها القدامى، نستطيع نظريا أن نشتق أكثر من ألف كلمة بزيادة عناصر صوتية، أو إشارية، أو ضمائرية، في أول الكلمة، أو في وسطها، أو بإضافتها إلى أخرى»[3]

«يقول السيوطي أنه احصى أوزان العربية فوجدها تفوق الألف عدّا، وهذا معناه أننا نستطيع نظريا أن نشتق من جذر "علم" ألف كلمة، لا تبعد في معانيها عن المعنى الأول، المضمن في الجذر الثلاثي، وظني أن المعنى الأول لهذا الجذر "علم" هو البل، كما في "أشهر من نار على علم"، ولكن المجتمع اللغوي يستعمل بعض هذه المشتقات ويهمل البعض الآخر.

تكلم القدامى عن نوعين من الاشتقاق: الاشتقاق الصغير، وهو ما نعرفه اليوم بعلم الصرف /.../ والاشتقاق الكبير، أو الأكبر، الذي قد أهمل أمره في يومنا هذا؛ لأنه ترف عقلي، ولهو لغوي، لا طائل فيه ولا جدوى؛ ذلك أن تأخذ جذرا مثل: "كلم" وتقلب حروفه على

---

[1] إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، ص: 111، 112.

[2] أنيس فريحة: نظريات في اللغة، ص: 68.

[3] المرجع نفسه، ص: 68.

الأوجه الستة، فيحصل لك ست كلمات، هي: كلم، وكمل، ولكم، ولمك، ومكل، وملك، ثم تحاول أن تجد معنى واحدا مشتركا بينها»[1] نلاحظ أن "أنيس فريحة" قدم تعريفا مفصلا للخاصية الأولى للغة العربية، ويذكر نوعيها –نوعي الاشتقاق– وقد وضح ذلك بأمثلة، ثم يواصل معرفا الخاصية الثانية، والمتمثلة في التصعيد، فيقول: «وتمتاز العربية بخاصية التصعيد؛ أي الارتفاع بالمعنى من الصورة المادية الملموسة إلى الصورة الذهنية، فإن معاني الجذور الأولى مادية محسوسة وضعية، ولكن عبر التصعيد ترتفع لفظة "العقل" المشتقة من العقال، وهو حبل يربط به البعير كي لا يشرد، إلى صورة ذهنية غير ملموسة؛ أي أن الذات تصبح معنى في جميع اللغات السامية ...»[2]

أما في صدر حديثه عن الخاصية الثالثة، وهي التوليد، فيقول: «أما التوليد فهو اسباغ معنى جديد على كلمة قديمة فصيحة، تتضمن معنى آخر، فالهاتف تعني قاموسيا من يسمع صوته ولا يرى شخصه، أما الآن فهو "التلفون"، وكذلك محرك السيارة، فالمحرك صرفيا اسم الفاعل من حرّك، والسيارة مبالغة من السير، أما في يومنا هذا فالمحرك شيء معين محدد والسيارة هي الأوتوموبيل، فعندما نقل العرب الفكر الإغريقي عمدوا إلى التوليد، وأحيانا إلى الاشتقاق القياسي، وعندما لم يكن التوليد أو الاشتقاق أمررا ممكنا كانوا يعمدون إلى التعريب؛ أي لفظ الكلمة الأعجمية على شكل عربي الوزن، ككلمة: "درهم" التي أصلها "دراخما"»[3]

وبالمثال يختم "أنيس فريحة" قوله وحديثه عن أهم وأبرز ثلاث خصائص تتميز بها اللغة العربية، والمتمثلة في: الاشتقاق، والتصعيد، والتوليد. ولكن لا يتوقف عندها –الخصائص الثلاث– بل يذكر خاصية أخرى حسب رأيه أيضا تدرج ضمنها، وتتمثل هذه الأخيرة في "النحت"، يقول: «والنحت دمج كلمتين بعد حذف وصقل، لتكوين كلمة جديدة ذات معنى جديد /.../ إن كلمات: بيولوجيا، وجغرافيا، وتلسكوب، مثلا منحوتة من لفظين، بعد حذف وصقل، فالأولى "bois" ومعناها الحياة، و"Logos" الكلمة وتعني أيضا الكلم، وجغرافيا من "gea"

[1] أنيس فريحة: نظريات في اللغة، ص: 68، 69.

[2] المرجع نفسه، ص: 70.

[3] المرجع نفسه، ص: 70، 71.

الأرض "Graphie" ومعناها الصورة، والهيأة، وقد نقلها العرب بمعناها فتكلوا عن هيأة الأرض، وتلسكوب مركبة من "tele" وتفيد البعد، والمسافة، و"scope" مدى الرؤية»[1]

وبهذا تكون خصائص اللغة عند "أنيس فريحة": الاشتقاق، والتصعيد، والتوليد، والنحت.

المبحث الثاني: اللغة القرآنية وخصائصها

أولا: مفهوم اللغة القرآنية

أرسل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، على فترة من الرسل، بشيرا ونذيرا، كما أخبر سبحانه وتعالى بذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [2] وأيده بالمعجزات الباهرات، ومن أجلّها وأعظمها معجزة القرآن الكريم، أنزله بلسان عربي مبين؛ لأنه لسان قومه الذين بعث فيهم، ومن سننه سبحانه أنه ما أرسل من رسول إلا بلسان قومه، كما أخبر ذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [3]، وهذا من لطف الله بخلقه، أن يرسل إليهم رسلا بلغاتهم؛ ليفهموا منهم ما يريدون إبلاغهم لهم، وقد قضت سنة الله أن ما أرسل من رسول إلا أيّده بمعجزة تؤيده في دعوته.[4]

فمن البديهي أن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين، كما أخبر بطلك الله جل شأنه، في غير آية من القرآن، وأكّد عليه في أكثر من موضع، فقال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [5] وقال أيضا في موضع آخر: ، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [6]، فمن

---

[1] أنيس فريحة: نظريات في اللغة، ص: 71.

[2] سورة لسبأ، الآية 28.

[3] سورة إبراهيم، الآية: 04.

[4] إبراهيم فواتيح عبد الرحيم: لغة الخطاب القرآني بين جمالية البيان وصرامة المنطق (أطروحة دكتوراه)، إشراف: سليمان عشراتي، جامعة وهران الثانية، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2012م–2013م، ص: 290

[5] سورة الشعراء، الآيات: 192–195.

[6] سورة الزخرف، الآية: 03.

خلال ما تيسر وتقدم من الآيات الكريمة علم أن العربية صفة لازمة للقرآن الكريم، لا تنفك عنه ولا تزول؛ لأن في زوالها زوال لهذا الاطلاق عنه، وبالتالي عدم اعتباره كلاما لله.

فالقرآن الكريم الذي أنزله الله بسان عربي مبين قد بلغ الذروة في الفصاحة، والبلاغة، فعباراته أبلغ العبارات، وأعذبها، واسلوبه أرقى الأساليب، وأروعها، وألفاظه التي هي لبنات هذا الصرح الشامخ أفصح ألفاظ اللغة العربية، وأنصعها.[1]

فقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش، لما اتصفت به هذه اللغة من خصائص، لا تضاهيها لغة أخرى من اللغات العالمية، حيث أجمع العلماء الأقدمون على أن قريشا هي أفصح القبائل العربية على الاطلاق، وأعظمها أثرا في تهذيب اللغة، فبحكم نفوذها السياسي، ومركزها الديني، والتجاري، التقت بجميع قبائل العرب، واقتبست منها أفصح ألفاظها، وأعذبها في الكلام، وأخفها جريانا على اللسان، ثم أضافتها إلى لغتها، وأجرت به ألسنتها، حتى غدت على مر الزمان أفصح لغات العرب، فكان من الطبيعي أن ينزل القرآن بها.[2]

يقول "الراغب الأصفهاني" في كتابه "المفردات في غريب القرآن" «فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم، وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء، والبلغاء في نظمهم ونثرهم»[3]، ومعنى قول "الأصفهاني" أنه يتخير من ألفاظ اللغات ألفاظ اللغة القرآنية، فهي حسبه لبّ كلام العرب.

أما "عز الدين البوشيخي" في حديثه عن لغة القرآن نرى أنه يعليها شأنا، أكثر من باقي اللغات البشرية الأخرى، فاللغة القرآنية بالنسبة إليه مختلفة عن جميع اللغات البشرية، مختلفة أيضا عن اللغة العربية باعتبارها –العربية– من اللغات البشرية.

فاللغة القرآنية أو الخطاب المنزل من الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويعد من أعظم الخطابات على وجه الأرض، من حيث الإعجاز اللغوي، والمفردات، والمعاني، كما أنه معصوم عن الأخطاء، والتحريف، وغير قابل للترجمة حرفا، وإنما تترجم معانيه،

---

[1] عبد الجليل عبد الحميد: لغة القرآن الكريم، ط01، 1981م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ص: 40، 41.

[2] إبراهيم فواتيح عبد الرحيم: لغة الخطاب القرآني بين جمالية البيان وصرامة المنطق، ص: 29.

[3] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج01، (د، ط)، (د، ت)، مكتبة نزار مصطفى الباز، ص: 04.

وتشرح مفرداته، وتراكيبه، ويذكر العلماء تعريفا له يقرب معناه، ويميزه عن غيره، فيعرفونه بأنه: «كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته»[1] فالجميع يتفق على أن لغة القرآن مختلفة ومتميزة عن سائر اللغات البشرية، فهي لغة معجزة، ومعصومة من الخطأ، أو التحريف، كما اتفقوا على أن اللغة القرآنية؛ أي اللغة التي نزل بها هي لغة قريش، فقد ذكرت العديد من الآراء أن لغة قريش هي اللغة الثابتة، والتي نزل بها القرآن الكريم، وما يعزز زعمنا ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش﴾ [2] فالحديث الشريف يشر إلى فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم، كما يدل دلالة قاطعة على أن لغة قريش هي أفصح اللغات العربية، وبالتالي يمكن الاستنتاج بأن القرآن الكريم نزل بهذه اللغة؛ أي أن اللغة العربية لغة قريش، وهذا ما يغنينا عن الدخول في متاهات المؤرخين، ودارسي علمي الحديث والقرآن.

أما كتعريف محدد وخاص بلغة القرآن، فلم يستطع أي باحث أو عالم من علماء القرآن الكريم أو الحديث وحتى علماء اللغة العربية وضع تعريف لها، سوى أنها لغة مختلفة، ومنزهة؛ لأنها من عند الله عز وجل، المعصوم جل جلاله وثناؤه عن الخطأ، فقد حيّرت لغة القرآن علماء اللغة المحدثين، عربا كانوا أو غربا، والدليل على ذلك تفسيرهم لها، فكما قال "عز الدين البوشيخي" حول تفسير المعاجم العربية لألفاظ وآيات الذكر الحكيم: «تفسير القرآن استنادا إلى المعاجم العربية حصرا قاصر عن الوفاء بالبيان، والوفاء بالبيان يقتضي فهم كلمات الله ضمن كلامه جل جلاله في القرآن الكريم»[3]، "فالبوشيخي" يعلي من مكانة اللغة القرآنية عن سائر اللغات، ويربطها بما يعرف بـ "الوفاء بالبيان" والذي يعني في الدراسة اللسانية الحديثة الدراسة المفهومية، منهج لفهم كلمات الله، ضمن كلامه جل جلاله؛ إذ اللغة القرآنية أسمى اللغات جميعا، وحتى من اللغة العربية في حد ذاتها.

---

[1] محمد بوهند: جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني دراسة بلاغية لآيات الأسماء الحسنى، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: محمد طول، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، شعبة القرآن الكريم، والدراسات الأدبية، 2016م–2017م، ص: 34.

[2] شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تح: على عبد الباري عطية، ج06، ط01، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 112.

[3] عز الدين البوشيخي: لغة القرآن رؤى جديدة، قناة التفسير، اليوتيوب، 23 جانفي 2019. 12:30.

ثانيا: خصائص اللغة القرآنية

وكأي لغة من اللغات، فاللغة القرآنية أيضا لها خصائص ومميزات تميزها عن اللغات البشرية كافة منها اللغة العربية، فلغة القرآن كما سبق القول لغة متميزة خاصة ولنبين هذا التميز لابد من ذكر الخصائص التي تميزها، والتي تتمثل في أربع خصائص، والتي أشار إليها، وتحدث عنها "عز الدين البوشيخي" في محاضراته، ولقاءاته، التي تدور حول لغة القرآن.

يقول "عز الدين البوشيخي" في لقاء له بعنوان: "لغة القرآن ومنهج الدراسة المصطلحية" «القرآن له معجمه الخاص داخله، فهو كما يقول الشاهد البوشخي يحمي معجمه بنفسه، ومن بين الخصائص التي تميّزت بها لغة القرآن عن باقي اللغات البشرية، والتي اتفق عليها جميع علماء دارسي القرآن الكريم: التعالي، والشفافية، والتطابقية، والنسقية»[1]

1. التعالي:

إن لغة القرآن لا تخضع لحدود من يتكلمها، ويقرأها؛ لأن المتحدث هو الخالق، لهذا لا يمكن أن تكون اللغة محدودة، لا من الناحية الوجودية، ولا من الناحية المعرفية، وهي ما أطلقنا عليه بخاصية "التعالي"؛ أي التعالي على القيدين المعرفي الإبستيمولوجي، والقيد الوجودي الأنطولوجي، وهي خاصية مهمة حدا.[2]

2. الشفافية:

لغة القرآن فيها تطابق تام بين المراد من الكلام وبين التعبير عن هذا المراد من الكلام، أو الدقة بين الكلام والمراد من الكلام، فجميع الرسل اشترط فيهم الفصاحة؛ أي تقليص المسافة إلى أقصى حد بين لغة التعبير، ولغة الفكر؛ لأن المطلوب منهم جميعا التبليغ، والتبليغ يقتضي عدم وجود حواجز بين لغة التعبير ولغة الفكر، وأفضل مثال على ذلك "موسى عليه السلام" الذي أصر أن يكون أخوه هارون معه في تبليغ الرسالة التي أمره الله تبليغها، وذلك بسبب فصاحة لسانه، وهي ما أطلقنا عليه خاصية "الشفافية"[3]

---

[1] عز الدين البوشيخي: لغة القرآن ومنهج الدراسة المصطلحية، المنتدى الإسلامي، الدورة التأهيلية الثانية في المدخل إلى الدراسات المصطلحية، 23 جانفي 2019م، 13:00.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

3. التطابقية:

إن لغة القرآن والوصف الذي يقدمه القرآن الكريم للوقائع، والأحداث، والأشخاص، والذوات، والقصص، و ... وهو وصف فيه تطابق تام بين الواقعة، ونقل الواقعة، أو بين وصف الواقعة؛ فالقرآن حينما يقدّم قصة ما يقدمها بأشكال مختلفة، ومن زوايا مختلفة، فتكتمل بذلك الصورة على أكمل وجه يريده القرآن، وهذا غير متيسر للبشر، فقصة سيدنا "موسى عليه السلام" مثلا تتكررفي كتاب الله عز وجل لكن في كل مرة تقدم شيئا جديدا، فإذا جمعنا كل الأوصاف التي جاءت بها السورة اكتملت الصورة الشاملة لمراد الله من هذه القصة، وهذا ما أطلقنا عليه خاصية "التطابقية" أي التطابق التام بين الواقعة وبين وصف الواقعة.[1]

4. النسقية:

في القرآن الكريم، وداخل الخطاب الإلهي نجد له مفهوم الخطاب، ودلالاته الخاصة داخل –باطن– القرآن، لا يتغير إلا إذا خرجت عنه –عن القرآن– ووجه الإعجاز في هذا أن القرآن نزل على الرسول على مدى (23) سنة؛ أي لم ينزل دفعة واحدة، ومع ذلك مع طول المدة الزمنية فاللفظ بمعناه، ودلالته، ومفهومه، بحسب وضعه، هو ذاته في القرآن الكريم، من أوله إلى آخر، لم يتأثر بالزمان ولا بالمكان ولا بأي شيء لذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾، وهذه الخاصية ما أطلقنا عليها بخاصية "النسقية"[2]

وبهذا تكون خصائص اللغة القرآنية أربع خصائص: التعالي، الشفافية، التطابقية، النسقية.

ثالثا: المقارنة بين اللغة العربية واللغة القرآنية

سبق وقلنا أن كلامه عز وجل قرآنه الكريم، قد نزل بلغة قريش وما قلناه مبني باتفاق جميع العلماء على ذلك، وأيضا تبين بالرغم من هذا أن لغة القرآن مميزة، وخاصة ومختلفة، عن سائر اللغات البشرية، وقد تعرضنا لخصائصها، وهي الخصائص الأربعة، التي اتفق عليها علماء اللغة القرآنية، والتي حين جمعوها جعلت الجميع يفهمون أنهم أمام لغة مميزة، وخاصة، لم تسبقها

---

[1] عز الدين البوشيخي: لغة القرآن ومنهج الدراسة المصطلحية، المنتدى الإسلامي، الدورة التأهيلية الثانية في المدخل إلى الدراسات المصطلحية، 23 جانفي 2019م، 13:00.

[2] المرجع نفسه.

لغة، ولم تلحقها لغة، وقد فهموا هذا إزاء قيامهم بعملية مقارنة بين اللغة العربية وبين اللغة القرآنية، وهذا ما سنقوم به فيما يلي؛ لنؤكد ذلك.

إذا قارنا بين اللغة العربية واللغة القرآنية نتبين النقاط التالية:

- من المعلوم لدى أهل الاختصاص في اللسانيات والأنثروبولوجيا أن كل لغة بشرية وحتي العربية في حد ذاتها محدودة بحدود ومحكومة بها، وتتمثل هذه الحدود في قيدين: قيد معرفي "إبستيمولوجي"، وآخر وجودي "أنطولوجي"، أما لغة القرآن فلا تخضع لهما؛ لأن المتحدث هو الخالق، وهذا ما أطلق عليه بخاصية التعالي، والتي تتميز بها اللغة القرآنية عن سائر اللغات.
- اللغات البشرية، والعربية خاصة، حينما يتكلمها المتكلم في مستويات نفسية فهي متعددة، لذلك وضع علماء البلاغة مستويات اللغة، والسبب في ذلك أن المتكلم حينما يتكلم يكون بليغا في مضمون الكلام، إذا كانت العلاقة بين الفكرة والعبارة مقلصة، إلى أقصى حد، ولا توجد مسافة بينهما، بين الفكرة وبين ما نعبر عنه، وهذه المسافة قائمة في كلام جميع الناس، فنقول مثلا لم أقصد هذا، أو لم أجد الفكرة لأعبّر عمّا في نفسي.[1] ومعنى ذلك أن هناك مستويين: مستوى التفكير، ومستوى التعبير، فإذا تطابقا كانت هناك بلاغة، وفصاحة وإذا كانت بينهما مسافة قد لا تكون الفصاحة والبلاغة، وبالرغم من هذا فإن هذين المستويين قائمين في ذهن كل واحد منا.

أما لغة القرآن ففيها تطابق نام بين المراد من الكلام وبين التعبير عن هذا المراد من الكلام، أو الدقة بين الكلام والمراد من الكلام، وهذا ما سمي بخاصية "الشفافية" التي تميز لغة القرآن عن اللغة العربية، التي هي لغة بشرية بدورها.

- في لغات البشر لو طلب منا أن نقدم وصفا لحادثة ما وقعت أمامنا فكل منا سيقدم وصفا مغايرا لما يقدمه الآخر لهذه الحادثة، بالنظر إلى الزاوية التي انطلق منها في تقديمه لهذا الوصف لتلك الحادثة، فكل حادثة تحدث تصفها اللغة من منظور المتكلم، أما لغة القرآن فتقدم وصفا فيه تطابق تام للحادثة، أو الواقعة، أو القصص، حيث أن هذا التطابق يكون بين الواقعة، ونقل الواقعة، أو وصفها؛ فاللغة القرآنية حينما تقدم قصة ما، أو حادثة، أو واقعة، تقدمها بأشكال مختلفة، وزوايا مغايرة، لتكتمل الصورة الشاملة، لمراد الله، على أكمل وجه، وهو ما يعرف بخاصية "التطابقية".

---

[1] عز الدين البوشيخي: لغة القرآن ومنهج الدراسة المصطلحية، المنتدى الإسلامي، الدورة التأهيلية الثانية في المدخل إلى الدراسات المصطلحية، 23 جانفي 2019م، 13:00.

- في اللغة البشرية لو تحدثنا مثلا عن شيء في الصباح ونفسه في المساء فنجد أن ما قلناه صباحا لم نقله بذاته في المساء؛ أي أن هناك تغيير في قولنا، وهذا طبيعي في كل لغات البشر، أما في اللغة القرآنية فلا نجد هذا التغيير أبدا، إلا إذا خرجنا عن القرآن، فبالرغم من طول المدة الزمنية التي استغرقها القرآن في النزول –23 سنة– فألفاظه بمعانيها، ودلالتها، ومفهومها هي ذاتها، ولم تتأثر لا بالزمان، ولا بالمكان، وهذا غير متيسر في الخطاب البشري، وفي أي لغة أبدا، وهذا ما يسمى بـ "النسقية" في اللغة القرآنية.
- اللغة العربية مبنية بناءً منتظما ضمن تصور مغين، فللغة العربية معجم خاص بها، يميزها عن سائر اللغات وأيضا اللغة القرآنية لها بناء معين، ومعجم خاص بها داخلها، حيث إن معجم الأولى يختلف عن الثانية، وذلك لاختلاف ألفاظهما؛ فالعربية لغة بشرية، أما القرآن فلغته لغة الخالق عز وجل.

لاحظنا نقاط فروق واضحة أثناء المقارنة بين اللغتين، وهي نقاط واضحة جدا، وطبيعية، ولكن هناك نقطة مثيرة، وهي مشتركة بينهما، أن كلتا اللغتين ليستا معزولتين، لا عن بيئتهما، ولا عن سياقهما الذي يقالان فيه، فاللغة القرآنية على سبيل المثال إذا أخذنا مثلا آية من آياتها، أو سورة من سورها، مثل "سورة المسد" لمّا نزلت كانت مرتبطة بالبيئة، وبالسياق، البادية، وحادثة أبي لهب وزوجته، ونفس الشيء بالنسبة للغة العربية، فبالرغم من أن لكل منهما خصائص تميزها عن الأخرة إلا أن هذا لا ينفي أنهما يتشاركان بعض الخصائص، فعلى كلٍّ فالقرآن الكريم قد نزل باللغة العربية.

تعرضنا لمفهوم اللغة العربية فوجدنا تعاريف متضاربة لعديد من العلماء، لكن ما خرجنا به أن اللغة ملكة فطرية، وهي أداة تعبير، وتواصل وتسجيل، كما أنها مساعد آلي للتفكير، والعربية لغة بشرية، وكما صنفها العلماء فهي لغة سامية، ولها عدة مسميات، منها الفصحى، وتتميز هذه اللغة بمجموع خصائص تميزها عن سائر اللغات، واللغة العربية هي اللغة التي أجمع أهل اللغة، وعلماؤها على أنها هي لغة قريش، وهي اللغة التي نزل بها كلامه عز وجل "القرآن الكريم"، الخطاب الإلهي المنزه عن سائر النقائص، المعصوم عن الخطأ، والمتميز بخصائص لم ولن توجد في أي لغة أخرى، فهي لغة مختلفة، مميزة، وخاصة، لم تسبقها ولم تلحقها أي لغة، ما ألزمنا التعامل معها بطريقة خاصة، لفهمها ولفهم معانيها، ومضمونها.

واللغة العربية أو القرآنية وظيفتها واحدة، وهي وظيفة بلاغية، والتي تؤديها وفق أنظمة التعبير، وفق مستويات (الصوتي، والصرفي، والنحوي أو التركيبي، والدلالي)، لذلك تعتبر ملكة، فهي –اللغة– منذ بدايتها الأولى مع آدم عليه السلام، ومع الملائكة، من خلال مخاطبته عز وجل لهم، أداة ومساعد آلي، وظيفته هي الوظيفة الإبلاغية التواصلية التعبيرية لها، فالكون يفنى لكن اللغة لا تفنى، فاللغة بحر عميق لا بداية ولا نهاية له، ولا حدود؛ لدا وجب علينا التعامل معها بدقة أكبر.

الفصل الثاني: الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية في أسلوب الالتفات وبلاغته في سور الحواميم

المبحث الأول: أسلوب الالتفات وسور الحواميم

المبحث الثاني: الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية من خلال بلاغة أسلوب الالتفات في سور الحواميم

المبحث الأول: أسلوب الالتفات وسور الحواميم

سبق وقلنا أن اللغة القرآنية لغة خاصة، ومميزة، وما يثبت قولنا هذا تفردها بخصائص تتميز بها، دون أي لغة أخرى، فإذا جمعنا هذه الخصائص معا نفهم أننا أمام لغة مختلفة، لم تسبقها لغة، ولم تلحقها لغة، لذا يجب علينا التعامل معها بطريقة خاصة؛ لفهمها، وفهم مضمونها. وبما أن أغلب العلماء إن لم نقل جلهم اتفقوا على أن القرآن نزل بلغة قريش؛ أي باللغة العربية، فهذا معناه أنه توجد ظواهر بلاغية في لغة القرآن، من بين هذه الظواهر ظاهرة الالتفات البلاغية، هذه الظاهرة، أو الأسلوب البلاغي لاحظنا أنه منتشر، ومتردد بكثرة في اللغة القرآنية، فالوقوف عندها –ظاهرة الالتفات– يمكننا من الوصول إلى الوظيفة الإبلاغية للغة القرآن، وكذا الإعجاز البلاغي لها من خلال هذا الأسلوب.

أولا: التعريف بأسلوب الالتفات

1–لغة:

ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «من الفعل (لَ فَ تَ) اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على: اللّي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، ومنه لفتُّ الشيء لَوَيْتُهُ، ولَفَتُّ فلانا عن رأيه صَرَفْتُهُ والأَلْفَتُ: الرجل الأعْسَرُ، وهو قياس الباب، واللَّفِيتَةُ: الغليظة من العصائد؛ لأنها تَلْفُتُ؛ أي تلوي.

امرأة لفوت لها زوج ولها ولد من غيره، فهي تَلَفّتُ إلى ولدها، ومنه الالتفات وهو أن تعدل بوجهك، وكذا التلَفُّتُ، قال أبو بكر: ولَفَّتُ اللِّحَاءَ عن الشجرة: قشرته»[1]

وفي لسان لعرب لابن منظور ورد كالآتي:

لفت وجهه عن القوم: صَرَفَهُ، والْتَفَتَ الْتِفَاتًا، والتَلَفُّتُ أَكْثَرُ منه، وتَلَفَّتُ إلى الشيء، والْتَفَتُ إليه: صَرَفَ وَجْهَهُ إليه، قال:

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج05، (د، ط)، (د، ت)، دار الفكر، (د، م)، ص: 258.

أرى الموت بين السيف والنّطع كامنًا يلاحظني من حيثما أتلفت

وقال أيضا:

فلمّا أعادت من بعيد بنظرة إليّ التفاتا أسلمتها المحاجر

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل من العذاب /.../ واللفت: الليّ، ولفته يلفته لفتا: لواه على غير جهته، وقيل: الليّ أن ترمي به إلى جانبك، وقال ثعلب: واللفوت هي التي عينها لا تثبت في موضع واحد، إنما همها أن تغفل عنها فتغمز غيرك. قال أبو جميا الكلابي: اللفوت الناقة الضجور عند الحلب، وتلتفت إلى الحالب فتعضه، فينهزها بيده فتهز، وذلك لتفتدي باللبن من النهز وهو الضرب.
والألفت: القوي اليد الذي يلفت من عالجه؛ أي يلويه.[1]

وهو أيضا نفس ما ورد في جميع المعاجم العربية، قديمة كانت أم حديثة، كالقاموس المحيط، أو المعجم الوسيط ... فجميع التعريفات اللغوية الواردة في المعاجم العربية تورد نفس المعنى لمفهوم الالتفات، والذي يتمثّل في اللّيّ، والصرّف، والإعراض.

2-اصطلاحا:

تضاربت الآراء وأقوال العلماء في ماهية الالتفات، ومفهومه الاصطلاحي، ويرجع السبب في ذلك إلى اختلاف التعريف اللغوي له؛ فمادة "لفت" تندرج تحتها دلالات لغوية كثيرة مثل: اللّيّ، والصرّف؛ لذلك ذهبوا مذاهب عدة في تعريفه الاصطلاحي، منها:

- يقول "عبد الله بن المعتز" (ت: 392هـ): «هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما أشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون إلى معنى آخر»[2]، فمن وجه نظر ابن المعتز يتبين أنّ الالتفات عنده ضربين اثنين: أولهما

[1] ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج01، باب اللام، (د، ط)، (د، ت)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص: 4051.

[2] عبد الله بن المعتز: البديع، تح: عرفان مطرجي، ط01، 2012م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ص: 73.

الانتقال من التكلم إلى حالة أخرى وثانهما يكون بالانصراف من معنى إلى آخر. وهذا يدل على اتساع الالتفات، فقد أطلق له العنان بإطلاقه كلمة "معنى".

• أم "قدامة بن جعفر" (ت: 337هـ) فنجده يعرف الالتفات، بقوله: «ومن نعوت المعاني الالتفات، وبعض الناس يسميه الاستدراك وهو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه، أو ظن، بأن رادا يرد عليه قوله، أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا على ما قدّمه، فإما أن يؤكده، أو يذكر سببه، أو يحلّ الشك فيه» [1]، ومن التعريف الذي أورده "قدامة" في كتابه الموسوم بـــ "نقد الشعر" يظهر أنه يضيق دائرة الالتفات، على عكس "ابن المعتز" فيتضح من خلال تعريفه أنّ مفهوم الالتفات ما هو إلاّ فرع من تعريف "عبد الله بن المعتز" "فقدامة" يؤكد أنه رجوع على المعنى نفسه؛ أما لذكر السبب، أو إحالة الشك فيه.

• و"عبد الرحمان الميداني" (ت: 1425هـ) هو الآخر وكان له رأيا فيما يخص تعريف الالتفات، فيقول: «الالتفات هو في اللغة تحويل الوجه عن أصل وضعه الطبيعي إلى وضع آخر

وفي اصطلاح البلاغيين هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر»[2]، معنى كلامه هذا أن الالتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، والملفت للانتباه في تعريف "الميداني" أنه لا يخرج عن التعريف اللغوي الذي يدور حول الانصراف، والتحوّل، واللّفت.

• وهناك أيضا "فخر الدين الرازي" (ت: 606هـ)، و"أبو هلال العسكري" (ت: 1005هـ) وغيرهم كثير، من الذين تعرضوا لمفهوم الالتفات، ألا وهو أن هذه الظاهرة البلاغية ما هي إلا لون من ألوان الصياغة العربية، يستلزم مخالفة الأصل، مخالفة معنوية، سواء أكانت مخالفة بعد ذكر الأصل ثم الانتقال عنه، أم تجاوزه مباشرة إلى غيره، إلا أن الدارسين السابقين لهذه الدراسة لم يتعرضوا لها بهذا الاسم، بل كانت تعرف سابقا بالاعتراض*، أو الاستدراك، أو

---

[1] قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ط01، (د، ت)، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ص: 53.

[2] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج01، 1996م، دار القلم، دمشق، سوريا، ص: 479.

* الاعتراض: هو اعتراض كلام في كلام لم يتم، ثم يرجع إليه فيتمّه.

المجاز، أو العدول، حتى كان أول التقاء لهذه الظاهرة بمصطلح الالتفات على يد الخليفة العباسي "عبد الله بن المعتز" في كتابه "البديع" المؤلف سنة (274هـ).

وبما أن مصطلح الالتفات التقى بنا عن طريق "عبد الله بن المعتز" فمن خلال تعريفه وتعريف المحدثين بعده للالتفات، يتبين أن له عدة أقسام، حصرها كثير من البلاغيين على الأغلب في مجال الضمائر، وفي صور التحول بين أنواع الضمائر الثلاثة، المتمثلة في: المتكلم، والمخاطب، والغائب، ولكن هناك حقيقة أخرى أغفلها هؤلاء في حين تفطن لها آخرون وهي أن الالتفات يشمل أيضا التحول بين الإضمار والإظهار، والتحول من تأنيث الضمير إلى تذكيره، أو العكس، وعليه فالالتفات يتحقق في صور المخالفة التعبيرية التالية:

- بين التكلم والخطاب.
- بين الخطاب والغيبة.
- بين التكلم والغيبة.
- بين الغيبة والتكلم.
- بين الخطاب والتكلم.
- بين الغيبة والخطاب.

ومن أشكاله التي خرجت عن رأي الجمهور:

- بين الإضمار والإظهار.
- بين تذكير الضمير وتأنيثه.

إذا يمكن القول بأن الالتفات ينقسم إلى:

- الالتفات بالضمائر.
- الالتفات بالعدد.
- الالتفات بالعدد.
- الالتفات المعجمي.

ثانيا: التعريف بسور الحواميم

السور القرآنية المفتتحة بـ "حم" سبع سور، وقد أتت كأية مستقلة، في سورها كلها، وهي أكثر فواتح السور بالحروف المقطعة عددا، متتالية في النزول، ومرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول، أولهن سورة غافر، فسورة فصلت، فسورة الشورى، فسورة الزخرف، فسورة الدخان، فسورة الجاثية، وخاتمتها سورة الأحقاف، وكلهن سور مكيات، تسمى هذه المجموعة من السور بـ "آل حم". أو "ذوات حم"، أو "الحواميم"، وقد نزلت عقب سورة الزمر.

وفي قولنا أنها سور مكية فقد عيّناها دون السور المدنية، وهو ما ورد عن السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن، حيث ذكر العديد من الأقوال في هذا الصدد، وجاء في الكتاب أن السور المدنية عشرون، والمختلف فيها اثنا عشر سورة وما عدا ذلك فهو مكي باتفاق، فالسور العشرون المدنية المتفق عليها الآتي ذكرها: "البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، النصر" أما السور المختلف فيها فهي: "الفاتحة، الرعد، الرحمان، الصافات، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الناس، الفلق" وما بقي منها وهي اثنان وثمانون سورة منها سور الحواميم السبع فهي مكية[1]، "وأما في ترتيب النزول في السور المكية فتأتي الحواميم بعد سبأ والزمر، وبعد الحواميم والذاريات"[2]

موضوع السور:

عاشت الدعوة الإسلامية التي تعهدها القرآن الكريم طورين متميزين واضحين ومرحلتين متعاقبين:

المرحلة المكية: حيث القلة والضعف، والشّدة والإيذاء، والكيد مع الأمر بالهجر الجميل والصفح وكف الأيدي والصدق بالحق.

المرحلة المدينة: فكان الأمر بالقتال، وكان النصر وكانت الهزيمة وكان الكيد الداخلي الخفي المتمثل في النفاق، وكان الكيد الخارجي، المتمثل في تأليب اليهود.

والقرآن الكريم ينزل في مكة ينافح عن تلك الجماعة الناشئة، فيزيح من طريقها العقاب والأشواك والشكوك ... ويمدها بأسباب الإيمان والاعتقاد.[3] حتى دارت الآيات المكية عموما

---

[1] ينظر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، ج01، (د، ط)، (د، ت)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الشؤون العلمية، المملكة العربية السعودية، ص: 133.

[2] ينظر بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الديمياطي، (د، ط)، 2006م، دار الحديث، القاهرة، مصر، ص: 193.

[3] ينظر عدنان محمد زرزور: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان وإعجازه، ط01، 1981م، المكتبة الإسلامي، بيروت، ص: 13.

حول إنشاء العقيدة ... في الله، وفي الوحي، وفي اليوم الآخر، وحول إنشاء التصور المنبثق من العقيدة لهذا الوجود وعلاقته بخالقه.

وينزل القرآن في المدينة؛ ليعالج تطبيق تلك العقيدة وذاك التصور في الحياة الواقعية ...[1] وسور الحواميم السبعة التي هي: غافر، فصلت، الشورى، والزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاق، كلها –كما سبق القول– مكية أي نزلت بمكة المكة المكرمة، ما عدا بعض الآيات الكريمة الموجودة، في السور نزلت بالمدينة.[2]

✓ فسورة غافر سورة مكية ما عدا الآتين (56)، و(57)، فقد أخرج "ابن أبي حاتم عن أبي العالية"، وأنها نزلت –الآتين– في اليهود، لما ذكروا الدجّال.[3]

وتسمى بسورة "الطول" الوارد في مستعمليها، وتسمى أيضا سورة "المؤمن" لذكر من آل فرعون، وتسمى "حم الأولى"، في تريب المصحف الشريف بين سور الحواميم.[4]

أما عن فضلها فلا يمكن وصفه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿من قرأ آية الكرسي وفاتحة حم المؤمن إلى قوله: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾، ولم ير شيئا، يكرهه حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي، لم ير شيئا يكرهه حتى يصبح﴾[5]

✓ أما سورة فصلت فهي سورة مكية من أول آية إلى آخرها، ولا تتخللها الآيات المدنية بتاتا. وتسمى أيضا سورة "حم السجدة" تفريقا بينهما وبين الحواميم الأخرى فآية السجدة ورادة في قوله تعالى في الآية (37) منها: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾، ومن أسمائها أيضا سورة "الأقوات" الكلمة الواردة في الآية (12)، ومن السورة نفسها نزلت ثاني،

---

[1] ينظر عدنان محمد زرزور: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان وإعجازه، ص: 136.

[2] ينظر خلال الدين السيوطي، أسرار تريب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، ومرزون على إبراهيم، (د، ط)، (د، ت)، دار الفضيلة، القاهرة، ص: 129.

[3] ينظر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج01، ص: 99.

[4] آدم البمبا: أسماء القرآن الكريم وأسماء سورة وآياته، معجم موسوعي ميسر، ط01، 2009م، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ص: 59.

[5] الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: لأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات، (د، ط)، 2009م، المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية، الأردن، ص: 141.

"سور حم"؛ أي سورة السجدة، فصلت في مواجهة المشركين واليهود؛ لتبين مدى قدرة الله عز وجل التي لا يحدها ولا يسعها شيء والدليل ما ورد في كل آية من آياتها.[1]

وهي أيضا لها فضل عظيم فعن عبد الله بن عمر[2] وقال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اقرئني يا رسول الله فقال: «اقرأ ثلاثا من "ذوات أَكَرَ" فقال كربت سني واشتد قلبي وغلظ لساني، فقال: فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم...»[3]؛ أي ثلاث سور من "سور حم" السبعة فهي تذهب الهم.

✓ سورة "الشورى" ثالث "سور حم" هي أيضا مكية ما عدا الآية من (24) إلى غايته (27) بدلالة ما أخرجه الطبراني والحاكم في سبب نزولها فإنها نزلت في الأنصار وفي أصحاب الصُّفَّة[4] واليهود. وتسمى سورة "المؤمن"، وسورة "حم غسق" تفريقا بينها وبين الحواميم الأخرى، وقد يختصر، فيقال: "سورة عسق"[5]

وفضلها نفس فضل "سورة فصلت" التي سبقتها وأيضا سورة "غافر" فالرسول صلى الله عليه وسلم وقد أمر بقراءة ثلاث سور من "ذوات حم"؛ لأنها تذهب الهم، وهذه السور الثلاث هي: غافر، فصلت، الشورى.[6]

✓ و سورة "الزخرف" مكية بكل آياتها، فقط استثني منها الآية (45) قيل نزلت بالمدينة، وقيل في السماء.[7]

ولم تذكر المصادر القرآنية أو أي مصادر أخرى أسماء أخرى لهذه السورة، عدا اسم "الزخرف" لما فيها من التمثيل الرائع لمتاع الدنيا الزائل، وبريقها الخداع بالزخرف الزائف.

---

[1] ينظر جلال الدين السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ط01، 2002م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ص: 226.

[2] الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: لأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات، ص: 146.

[3] رواه أحمد وأبو داود والحاكم.

[4] ينظر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص: 100.

[5] آدم البمبا: أسماء القرآن الكريم وأسماء سورة وآياته، ص: 59.

[6] ينظر الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: لأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات، ص: 146.

[7] ينظر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص: 100.

وقد نزلت السورة؛ لتسكت أفواه المشركين من أهل قريش وغيرهم، من المنافقين، الذي أرادوا التعالي بمتاع الدنيا الزائف.[1]

وكما سبق القول فكل سور الحواميم لها فضل واحد تقريبا، عدا الفضل الذي يختلف في آيات كل سورة، فعن يعلى بن أمية قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر:[2] ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[3] والحديث يفيد أن النبي صلى الله عليم وسلم كان يقرأ السورة أو بعضها في الخطبة، وهو على المنبر، لما فيها من فضل عظيم.[4]

✓ وخامس سور "ذوات حم" هي الدخان، فهي كاملة تامة مكية، بكل آياتها، مثلها مثل سورة "فصلت"، وسورة "السجدة"، وهي أيضا لم تذكر أية مصادر أسماء أخرى لها، غير اسم "الدخان"، وقد سميت بالدخان؛ لأن الله جعلها لتخويف كبار الكفار؛ حيث أصيبوا بالقحط، والمجاعة، بسبب تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم نجّاهم بعد ذلك بدعاء من نبيه الكريم، فبعث عليهم بدخان عظيم، حتى كادوا يهلكون.

وعن فضلها[5] يقول أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفورا له، ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له﴾[6]، فهذه السورة تغفر لقارئها.

✓ والجاثية مكية فقط تم استثناء الآية (14) منها.[7] وتسمى أصلا سورة الشريعة، وقد وردت الكلمة في الآية (18) منها، وتسمى أيضا سورة الدهر، وقد وردت الكلمة أيضا في آيتها (24).[8]

---

[1] ينظر جلال الدين السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص: 228، 229.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] سورة الزخرف، الآية: 77.

[4] ينظر الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: لأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات، ص: 145

[5] ينظر الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: لأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات، ص: 145

[6] رواه أبو يعلى.

[7] ينظر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص: 101.

[8] ينظر آدم البمبا: أسماء القرآن الكريم وأسماء سورة وآياته، ص: 59.

وقد نزلت لإقامة الأدلة، والبراهين على وحدانية رب العالمين.[1] وسورة الجاثية فضلها كسابقاتها من سور الحواميم، وقد ورد في نفس الحديث –السابق ذكره– في فضل السور السابقة، الذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمرنا بقراءة سور هن: "ذوات حم".

✓ وأخر سورة من سور الحواميم السبع هي سورة الأحقاف، السورة المكية، التي استثني منها الآية (10) والتي أخرج الطبراني عنها أنها نزلت بالمدينة، لكن ابن أبي حاتم عن مسروق قال: أنزلت هذه الآية بمكة، وإنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة، وأنها كانت خصومة خاصم بها محمد صلى الله عليه وسلم.[2]

ومن المعروف أن سور القرآن أربعة أقسام: الطِوال*، والمئين*، والمثاني*، والمفصل* وسور الحواميم السبعة كلها مثاني.[3]

وسورة الأحقاف مثلها مثل سورتي "الزخرف"، و"الدخان" لم تذكر أية مصادر أسماء أخرى لها، ما عدا تسميتها بذلك، فالأحقاف سميت بذلك؛ لأنها تدل على مساكن عاد، الذين أهلكهم الله بطغيانهم، وجبروتهم، وكانت مساكنهم بالأحقاف، من أرض اليمن، وفضلها مثل فضل باقي "سور حم" السابقة.

وبعد التعرض لسور الحواميم السبع من تعريف لها، ومن مواضيعها، التي تناولناها خلصنا إلى مجموعة من الخصائص لهذه السور، والتي تتميز بها عن غيرها من السور:

---

[1] ينظر جلال الدين السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص: 231.

[2] ينظر جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص: 101.

* الطوال: سبع سور: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والسابعة قيل الأنفال، وقيل براءة.

* المئين: التي يزيد عدد آياتها عن مئة، أو تقاربها.

* المثاني: هي التي تليها في عدد الآيات، سميت بذلك؛ لأنها تثنى في القراءة، وتكرر أكثر من الطوال، والمئين.

* المفصل: قيل من أول سورة "ق" وقيل من أول سورة "الحجرات"، وقيل غير ذلك.

[3] ينظر السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص: 130، 131.

- جميعها من القسم المكي في القرآن إلا بضع آيات منها فقط نزلت في المراحل المتقدمة من الدعوة المحمدية.
- جميعا تبتدئ بالحروف المقطعة "حم" لذلك سميت هذه السور بسور الحواميم.
- كل سورة منها استفتحت بالكتاب، أو وصفه، مع تفاوت المقادير من طول وقصر، وتشاكل الكلام في النظم.
- ركزت هذه السور على الرسالة النبوية، والقرآن الكريم خاصة.
- العرض المتكرر والمتعدد للرسالة، واليوم الآخر، وأدلة ربوبية الله عز وجل، خاصة خلق السماوات، والأرض.
- الاتحاد في الأغراض، والمضمون، وهو مضمون العقيدة.
- كلها ذكرت موسى عليه وسلم ودوره في دعوة قومه من بني إسرائيل إلى الله جل وعلا.
- كلها تدعوا إلى الوحدة وتحذر من التفرقة.
- بيان الواجبات على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

فكانت هذه هي سور الحواميم السبع، التي سيتم استخراج ما أمكن من صور الالتفات منها.

ملاحظة مهمة:

اختلف أهل العلم في صحة جمع "حم" على "حواميم"، وقالوا بأن هذا من كلام العامة، ولا تعرفه العرب وبأنه خطأ، وكرهه بعض السلف، منهم: "محمد بن سيرين"، وقالوا الصواب أن تجمع على "آل حم"، أو "ذوات حم"[2]

[1] ينظر السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص: 130، 131.

[2] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 444.

المبحث الثاني: الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية من خلال بلاغة أسلوب الالتفات في سور الحواميم

أولا: بعض صور الالتفات الممكنة في سور الحواميم

1- بين التكلم والخطاب:

تميزت سور الحواميم بما لا يحصى عددا من الفوائد الجليلة، ومن تلك الفضائل تعدد مواضع الالتفات.

- ✓ **سورة غافر:**

أول مواضع الالتفات في هذه السورة يظهر لنا جليا في قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾[1] ففي الآية الكريمة أجري الكلام بأسلوب الخطاب المباشر، وذلك بعد أسلوب التكلم في قوله:﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ ﴾ ومن الخطاب: ﴿ دِينَكُمۡ﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾[2] فقد خرج الأسلوب من التكلم في قوله: ﴿عُذۡتُ بِرَبِّي﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ وَرَبِّكُمۡ﴾ ولهذا الخروج لطائف ربانية عظيمة، وبلاغة، وإعجاز، سيبين في العنوان القادم.

وقال جل جلاله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾[3] فمن التكلم قوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ﴾ ومن الخطاب قوله:﴿أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾.

---

[1] سورة غافر، الآية: 26.

[2] سورة غافر، الآية: 27.

[3] سورة غافر، الآية: 38.

وقال أيضا: ﴿۞قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1] فالالتفات من التكلم قوله: ﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ﴾

وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾[2] ففي هذه الآية الكريمة اجتمعت التفاتات عدة، وذلك لحكمة ربانية، وإعجاز بلاغي، والالتفات المعني فيها من التكلم في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ وفي قوله أيضا من التكلم: ﴿قَصَصْنَا﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿عَلَيْكَ﴾ وستتضح بلاغة هذا فيما بعد.

- ✓ **سورة فصلت:**

مما جاء من الالتفات في سورة فصلت من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾[3]، فمن التكلم قوله: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿فَاعْمَلْ﴾.

وقال أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[4] فالالتفات في قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بصيغة الخطاب وذلك بعد قوله: ﴿رَبُّنَا﴾ بصيغة المتكلم

---

[1] سورة غافر، الآية: 66.

[2] سورة غافر، الآية: 78.

[3] سورة فصلت، الآية: 05.

[4] سورة فصلت، الآية: 30.

وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾[1]، فالالتفات واضح بين في هذه الآية الكريمة؛ حيث أجرى الكلام على سبيل الخطاب في قوله :﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ ، بعد التكلم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾

وقال جل جلاله:﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾[2]

فمن مواطن التحول عن التكلم إلى الخطاب قوله من التكلم: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ﴾

- ✓ **سورة الشورى:**

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾[3]، في هذه الآية الكريمة عدل الكتاب العزيز عن المطابقة فانتقل من التكلم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ ولو جاء الكلام على نسق واحد لكان لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع.

---

[1] سورة فصلت، الآية: 40.

[2] سورة فصلت، الآية: 51، 52.

[3] سورة الشورى، الآية: 07.

وقال الله جل جلاله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، فالالتفات في هذه الآية الكريمة واضح، حيث انتقل من التكلم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ إِلَيۡكَ﴾ وأيضا في قوله: ﴿جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ فقد عدل عن المطابقة، وسنوضح ذلك في المبحث الثاني.

- ✓ **سورة الزخرف:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾[2]، وفي هذه الآية تم الانتقال من التكلم في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

وقال تعالى أيضا: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [3] فقد انتقلت الآية الكريمة من إسناد الفعل للمتكلم في قوله: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾ إلى الخطاب في قوله:﴿فَٱنظُرۡ﴾

وقال أيضا: ﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨﴾ [4]، ففي الآية الكريمة نرى أن الكتاب العزيز انتقل من فعل التكلم في قوله: ﴿جِئۡنَٰكُم﴾ إلى فعل الخطاب في قوله: ﴿ أَكۡثَرَكُمۡ﴾

---

[1] سورة الشورى، الآية: 52.

[2] سورة الزخرف، الآية: 03.

[3] سورة الزخرف، الآية: 25.

[4] سورة الزخرف، الآية: 78.

✓ **سورة الدخان:**

قال جل ثناؤه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1] فالالتفات من التكلم قوله: ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿بِلِسَانِكَ﴾

✓ **سورة الجاثية:**

قال تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] فالالتفات بصيغة التكلم يظهر في قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ لينتقل إلى الخطاب في قوله: ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ ثم يعود إلى التكلم في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ لينتقل إلى الخطاب مرة أخرى في قوله: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

✓ **سورة الأحقاف:**

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾[3]

فالالتفات من صيغة المتكلم في قوله: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ إلى صيغة المخاطب في قوله: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

2- بين التكلم والغيبة:

✓ **سورة غافر:**

أول مواضع هذا اللون من الالتفات في سورة غافر في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[4]

---

[1] سورة الدخان، الآية: 58.

[2] سورة الجاثية، الآية: 29.

[3] سورة الأحقاف، الآية: 22.

[4] سورة غافر، الآية: 23، 24.

فالالتفات في قوله بضمير الغيبة: ﴿فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، بعد أن كان الضمير في الآية السابقة بصيغة التكلم في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

وقال جل جلاله أيضا: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾[1]، فالالتفات في قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ بصيغة الغيبة، وذلك بعد صيغة التكلم التي بدأت بها الآية الكريمة في قوله: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾

- ✓ **سورة فصلت:**

قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[2] بدأت الآية الكريمة بضمير التكلم في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ ثم بعد التقدم قليلا مع الآية نجد أن هذه الصيغة تغيرت إلى صيغة الغيبة في قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾

وقال العزيز الحكيم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [3] الالتفات هنا من ضمير المتكلم في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ إلى صيغة الغيبة في قوله: ﴿قُلْ هُوَ﴾ ويراد به القرآن.

- ✓ **سورة الشورى:**

قال العزيز الحكيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ

[1] سورة غافر، الآية: 26.

[2] سورة فصلت، الآية: 16.

[3] سورة فصلت، الآية: 44.

مَن يَشَأۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾[1] فموضع الالتفات في قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ﴾ بصيغة الغيبة، وذلك جاء بعد قوله في الآية السابقة: ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ بصيغة التكلم.

✓ **سورة الزخرف:**

قال الله تعالى: ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [2]

موضع الالتفات في قوله: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بصيغة الغيبة، وذلك بعد صيغة التكلم: ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ﴾

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[3] موضع الالتفات في هذه الآية الكريمة المباركة في تحول الأسلوب من صيغة التكلم في قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ إلى صيغة الغيبة في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ﴾

✓ **سورة الدخان:**

قال جل جلاله: ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[4] فالالتفات في الآية الكريمة في قوله: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بصيغة الغيبة، وذلك بعد صيغة التكلم في قوله: ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾

[1] سورة الشورى، الآية: 07، 08.

[2] سورة الزخرف، الآية: 08، 09.

[3] سورة الزخرف، الآية: 14، 15.

[4] سورة الدخان، الآية: 05، 06.

✓ **سورة الجاثية:**

قال الحق تبارك: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] فأسلوب الالتفات في الآية الكريمة بصيغة التكلم يظهر في قوله: ﴿ جَعَلْنَٰكَ ﴾ إلى صيغة الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾

وقال أيضا: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] فموضع الالتفات في الآية المباركة في التحول من التكلم في قوله: ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ﴾

✓ **سورة الأحقاف:**

قال الحق تبارك: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾[3] جاء أسلوب الالتفات في هذه الآية بصيغة التكلم في قوله: ﴿ مَا خَلَقْنَا﴾ ثم انتقل إلى صيغة الغيبة في قوله: ﴿ مَاذَا خَلَقُوا۟ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟

[1] سورة الجاثية، الآية: 18، 19.

[2] سورة الجاثية، الآية: 21، 22.

[3] سورة الأحقاف، الآية: 03، 04.

يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1]موضع الالتفات في الآية الكريمة في قوله: ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بصيغة الغيبة بعد التكلم في الآية السابقة في قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا﴾

3- بين الخطاب والتكلم:

✓ **سورة غافر:**

تعددت صور الالتفات من الخطاب إلى التكلم في سور الحواميم السبعة، فمن بين صوره فيما يلي ذكره في سورة غافر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾[2] فأسلوب لالتفات بين الخطاب والتكلم في الآية الكريمة واضح جدا، فالخطاب يظهر في قوله: ﴿إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ أما التكلم ففي قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾

وقال جل ثناؤه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾[3] فالالتفات من الخطاب يظهر في قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ ومن التكلم قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾

وقال الله تعالى: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾[4] فأسلوب الالتفات في هذه الآية من الخطاب يظهر في قوله: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾

---

[1] سورة الأحقاف، الآية: 27، 28.

[2] سورة غافر، الآية: 10، 11.

[3] سورة غافر، الآية: 29.

[4] سورة غافر، الآية: 44.

✓ **سورة فصلت:**

قال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾[1] فمن الخطاب في الالتفات قوله: ﴿ قُلْ ﴾ وأيضا: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]

يظهر أسلوب الالتفات جليا من الخطاب في قوله: ﴿ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ﴾

✓ **سورة الشورى:**

قال جل جلاله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[3]، أسلوب الالتفات واضح جلي في الآية الكريمة، فمن الخطاب قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم ﴾ ومن التكلم في قوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ ﴾

✓ **سورة الزخرف:**

قال الله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[4]

---

[1] سورة فصلت، الآية: 06.

[2] سورة فصلت، الآية: 39.

[3] سورة الشورى، الآية: 13.

[4] سورة الزخرف، الآية: 45، 46

من الآية المباركة يظهر أسلوب الالتفات من الخطاب إلى المتكلم، فمن الخطاب قوله: ﴿ وَسَعَلَ﴾ ليتحول هذا الخطاب إلى صيغة التكلم في قوله: ﴿ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

✓ **سورة الدخان:**

قال الحق جل جلاله: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ ﴾[1] ففي الآيات المباركات يتبين أسلوب الالتفات بصيغة الخطاب في قوله: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ لينتقل إلى أسلوب التكلم في قوله: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾

✓ **سورة الأحقاف:**

قال عز وجل: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤ ﴾[2]

يظهر الالتفات في الآية الكريمة بصيغة الخطاب في قوله: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم ﴾ لينتقل بعد هذا إلى صيغة التكلم في قوله: ﴿ أَرُونِي ﴾، وأيضا في قوله: ﴿ ٱئۡتُونِي﴾

4- بين الخطاب والغيبة:

✓ **سورة غافر:**

قال رب العالمين: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ۝٣٤ ﴾[3]جاء الالتفات في الآية المباركة بصيغة الغيبة، في قوله: ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ

[1] سورة الدخان، الآيات: 10، 11، 12.

[2] سورة الأحقاف، الآية: 04.

[3] سورة غافر، الآية: 34.

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ بعد أن كان في بداية الآية بصيغة الخطاب في قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ ﴾

وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1] يظهر الالتفات بصيغة الخطاب في بداية الآية في قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ﴾ ومن الغيبة في قوله: ﴿ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

✓ **سورة فصلت:**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[2] فمن خلال الآية المباركة يتجلى أسلوب الالتفات بصيغة الخطاب في قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ ﴾ ليتحول فجأة إلى صيغة الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

وقال أيضا: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[3]

فالالتفات في هذه الآية الكريمة جاء بصيغة الغيبة في قوله: ﴿ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ بعد أن كانت خطابا في بداية الآية في قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾

[1] سورة غافر، الآية: 60.

[2] سورة فصلت، الآية: 36.

[3] سورة فصلت، الآية: 52

✓ **سورة الشورى:**

قال جل ثناؤه: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]

في هذه الآية الكريمة وضوح تام للالتفات بين الخطاب والغيبة، فمن الخطاب قوله: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ ﴾ ومن الغيبة قوله: ﴿ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] فمن الخطاب قوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ ﴾ ومن الغيبة قوله: ﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾

ويقول: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3] الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾ ومن الغيبة قوله: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

✓ **سورة الدخان:**

قال جل جلاله: ﴿ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] الالتفات في هذه الآية واضح، فمن الخطاب قوله: ﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾ ومن الغيبة قوله: ﴿ رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴾

---

[1] سورة الشورى، الآية: 22.

[2] سورة الشورى، الآية: 30.

[3] سورة الشورى، الآية: 36.

[4] سورة الدخان، الآية: 21، 22.

وقال: ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿ وَٱتۡرُكِ ﴾ ومن الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴾

✓ **سورة الجاثية:**

قال العزيز الحكيم: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] فمن الخطاب قوله: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ﴾ ومن الغيبة في قوله:﴿ فَمَن يَهۡدِيهِ ﴾

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[3] جاء أسلوب الالتفات هنا في هذه الآية المباركة بين صيغتين: صيغة الخطاب في قوله: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ﴾ وصيغة الغيبة في قوله: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾

✓ **سورة الأحقاف:**

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[4]جاء الالتفات بصيغة الغيبة في الآية الكريمة في قوله: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ ﴾ بعدما جاءت بصيغة الخطاب في البداية في قوله: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾

وقال الحق جل جلاله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ ﴾[5]تعددت مواضع الالتفات

---

[1] سورة الدخان، الآية: 24.

[2] سورة الجاثية، الآية: 23.

[3] سورة الجاثية، الآية: 35.

[4] سورة الأحقاف، الآية: 10.

[5] سورة الأحقاف، الآية: 21.

في هذه الآية المباركة، لكن ما يهمنا هو الالتفات بين صيغتي الخطاب والغيبة، فمن الخطاب في قوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ﴾ ومن الغيبة في قوله: ﴿ إِذۡ أَنذَرَ﴾

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾[1] فأسلوب الالتفات بيّن جلي في هذه الآية الكريمة فمن الخطاب في قوله:﴿ فَٱصۡبِرۡ﴾ وأيضا قوله:﴿ وَلَا تَسۡتَعۡجِل ﴾ ومن الغيبة في قوله:﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ ﴾

5- بين الغيبة والتكلم:

تعددت مواضع الالتفات من الغيبة إلى التكلم في سور "الحواميم"

✓ **سورة غافر:**

أول مواضع هذا القسم من الالتفات تبدأ في قوله: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥ ﴾[2] تمثل أسلوب الالتفات بين الغيبة والتكلم، في الآية المباركة فبصيغة الغيبة قوله:﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ وبصيغة التكلم:﴿ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

ويقول جل جلاله: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ ﴾[3] يظهر أسلوب الالتفات جليا في هذه الآية بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة قوله:﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أما من التكلم ففي قوله:﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾

[1] سورة الأحقاف، الآية: 35.

[2] سورة غافر، الآية: 05.

[3] سورة غافر، الآية: 47.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ ﴾[1] يلاحظ من الآية الكريمة أسوب الالتفات بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ومن التكلم قوله: ﴿ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾

✓ **سورة فصلت:**

قال الحق جل شأنه: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ ﴾[2] يتجلى في الآية أسلوب الالتفات من الغيبة إلى التكلم، فمن الغيبة قوله: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ ﴾ ومن التكلم قوله: ﴿ أَنذَرۡتُكُمۡ ﴾

وقال أيضا: ﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥ ﴾[3] هنا أيضا أسلوب الالتفات بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة قوله: ﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ومن التكلم قوله: ﴿ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ ﴾

وقال العزيز الحكيم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩ ﴾[4] في هذه الآية المباركة تحول من أسلوب الغيبة في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلى أسلوب التكلم في قوله: ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾

---

[1] سورة غافر، الآية: 70.

[2] سورة فصلت، الآية: 13.

[3] سورة فصلت، الآية: 15.

[4] سورة فصلت، الآية: 29.

وقال أيضا: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] التفتت الآية الكريمة إلى الغيبة في قوله:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ إلى التكلم في قوله:﴿ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

✓ **سورة الشورى:**

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[2] أسلوب الالتفات يظهر جليا في الآية بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة قوله:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ ومن التكلم قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾

وقال أيضا: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[3] تكرر أسلوب الالتفات في هذه الآية بين الغيبة والتكلم، فالأولى في قوله:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ والتي جسدت الغيبة، يقابلها من التكلم قوله: ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ ﴾ أما الالتفاتة الثانية ففي قوله بصيغة الغيبة:﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا ﴾ إلى التكلم في قوله:﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾

[1] سورة فصلت، الآية: 33.

[2] سورة الشورى، الآية: 13.

[3] سورة الشورى، الآية: 20.

وقال جل شأنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾[1] فالالتفات من الغيبة قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ ومن التكلم قوله:﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾

✓ **سورة الزخرف:**

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ٥ ﴾[2] ربط بين الآيتين أسلوب الالتفات بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة في الآية الأولى قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ومن التكلم قوله:﴿ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ أيضا من الآية الثانية قوله:﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ ﴾

ويقول جل جلاله: ﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ ﴾[3]

هنا أسلوب الالتفات بين الغيبة والتكلم، تمثل في قوله:﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ ﴾ بصيغة الغيبة، وقوله: ﴿ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ ﴾ بصيغة التكلم.

وقال أيضا: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ ﴾[4] فمن الغيبة قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ ومن التكلم قوله:﴿ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾

قال جل جلاله: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ

[1] سورة الشورى، الآية: 37، 38.

[2] سورة الزخرف، الآية: 04، 05

[3] سورة الزخرف، الآية: 11.

[4] سورة الزخرف، الآية: 30.

﴿ ٣٢ ﴾[1] فالتفت الكتاب العزيز عن الغيبة في قوله:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ إلى التكلم في قوله:﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2] في الآيتين أسلوب التفات بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة قوله في الآية الأولى:﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ ومن التكلم في الآية الموالية قوله:﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾

✓ **سورة الدخان:**

قال تبارك وتعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3] ففي الآيتين أسلوب التفات واضح من الغيبة إلى التكلم، فقوله:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ غيبة، وقوله:﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ التفات بصيغة التكلم.

وقال جل جلاله: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] تضح أسلوب الالتفات جليا في هذين الآيتين بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة قوله:﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ ومن التكلم قوله:﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا ﴾

وقال جل من قائل: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾[5] في الآيتين السابقتين أسوب الالتفات بين الغيبة والتكلم واضح، فمن الغيبة قوله: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ ومن التكلم قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾

---

[1] سورة الزخرف، الآية: 32.

[2] سورة الزخرف، الآية: 54، 55.

[3] سورة الدخان، الآية: 04، 05.

[4] سورة الدخان، الآية: 22، 23.

[5] سورة الدخان، الآية: 27، 28.

وقال جل جلاله: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] هنا نجد أيضا أسلوب التفات بين الغيبة والتكلم، فالغيبة في قوله:﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ومن التكلم قوله:﴿أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾

وقال عز وجل: ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[2] ففي الآيتين التفاتة لطيفة من الغيبة إلى التكلم، فمن الغيبة قوله في الآية الأولى: ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ ومن التكلم قوله:﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

- ✓ **سورة الجاثية:**

قال الحق جل جلاله: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3]

أسلوب الالتفات بين الغيبة والتكلم يظهر جليا في هذه الآية، فمن الغيبة قوله:﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ ومن التكلم قوله:﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4] التفتت الآية الكريمة من الغيبة في:﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ إلى التكلم في:﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ ﴾

---

[1] سورة الدخان، الآية: 37.

[2] سورة الدخان، الآية: 53، 54.

[3] سورة الجاثية، الآية: 21.

[4] سورة الجاثية، الآية: 33، 34.

✓ **سورة الأحقاف:**

قال تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[1] وفي هذه الآية التفات بين الغيبة والتكلم، فمن الغيبة قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ومن التكلم قوله: ﴿ مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾

وقال أيضا: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] هنا في هذه الآية الكريمة أسلوب التفات واضح بين الغيبة والتكلم، فقوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ التفات بصيغة الغيبة لينتقل بعد ذلك إلى صيغة التكلم في قوله: ﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ ﴾

وقال جل شأنه: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] هنا في هذه الآية تحول في أسلوب الالتفات من صيغة الغيبة في قوله: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ إلى صيغة التكلم في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

6- بين الغيبة والخطاب:

✓ **سورة غافر:**

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[4] التفت جل جلاله في كتابه من الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ ﴾

---

[1] سورة الأحقاف، الآية: 11.

[2] سورة الأحقاف، الآية: 17.

[3] سورة الأحقاف، الآية: 25.

[4] سورة غافر، الآية: 10.

وقال أيضا: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾[1] هنا أيضا أسلوب التفات بين الغيبة والخطاب، فمن الغيبة قوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ ومن الخطاب قوله:﴿ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ ﴾[2] أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب واضح في الآية السابقة، فقد تجلت الغيبة في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ ﴾ أما الخطاب ففي قوله:﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ ﴾

- ✓ **سورة فصلت:**

قال تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٨ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ ﴾[3] في الآيتين التفات بين الغيبة والخطاب، فمن الغيبة قوله تعالى في الآية الأولى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ ومن الخطاب قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ﴾

---

[1] سورة غافر، الآية: 46.

[2] سورة غافر، الآية: 56.

[3] سورة فصلت، الآية: 08، 09.

قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾[1] في الآية أسلوب التفات بين الغيبة والخطاب، فمن الغيبة قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ومن الخطاب قوله:﴿ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾

قال جل جلاله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ ﴾[2] أسلوب الالتفات في الآية من الغيبة في قوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ ﴾ ومن الخطاب قوله: ﴿ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾

✓ **سورة الشورى:**

يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦ ﴾[3] التفت العزيز الحكيم في هذه الآية عن الغيبة في قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ إلى الخطاب في قوله:﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾

ويقول تبارك ذكره: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾[4] يظهر أسلوب الالتفات جليا في الآيتين،

---

[1] سورة فصلت، الآية: 26.

[2] سورة فصلت، الآية: 37.

[3] سورة الشورى، الآية: 06.

[4] سورة الشورى، الآية: 14، 15.

فالآية الأولى تمثل الغيبة: ﴿ ۝١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴾ أما الخطاب ففي الآية الثانية: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ ﴾

وقال جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧ ﴾[1] فالالتفات من الغيبة قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ ﴾ أما الخطاب ففي قوله: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴾

- ✓ **سورة الزخرف:**

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ ﴾[2] أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب واضح جدا فقوله: ﴿ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ ﴾ التفات من الغيبة ليتحول إلى الخطاب في قوله: ﴿ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ ﴾

قال تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠ ﴾[3] في الآية المباركة التفات واضح بين الغيبة والخطاب حيث قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ غيبة، لتتحول إلى خطاب في الآية الموالية، في قوله: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾

وقال أيضا جل ثناؤه: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١ ﴾[4] من الواضح الجلي في الآية الكريمة

---

[1] سورة الشورى، الآية: 17.

[2] سورة الزخرف، الآية: 12، 13.

[3] سورة الزخرف، الآية: 69، 70.

[4] سورة الزخرف، الآية: 71.

أسلوب التفات من الغيبة في قوله: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

وقال أيضا: ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1] هنا أسلوب الالتفات بين الغيبة والخطاب، فمن الغيبة قوله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أما الخطاب ففي قوله: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

✓ **سورة الدخان:**

قال تعالى: ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ ﴾[2] في هذه الآية الالتفات من الغيبة يظهر في ذكره: ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾

وقال أيضا: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾[3] التفت ذو الجلال والكرام في كتابه العزيز عن الغيبة في ذكره: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾

وقال: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾[4]

فالالتفات من الغيبة جاء في قوله: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ ليأتي بعده مباشرة في الآية الموالية تحول إلى الخطاب في قوله: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾

---

[1] سورة الزخرف، الآية: 85.

[2] سورة الدخان، الآية: 07.

[3] سورة الدخان، الآية: 08.

[4] سورة الدخان، الآية: 09، 10.

✓ **سورة الجاثية:**

قال تبارك وتعالى: ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1] يظهر أسلوب الالتفات جليا في الآيتين السابقتين الذكر بين الغيبة في قوله:﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ ومن الخطاب: ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

وقال أيضا المولى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[2] فمن الغيبة قوله تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ﴾ ومن الخطاب قوله:﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

وقال:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] أيضا هنا هذه الآية التفات بين الغيبة والخطاب، فجاء الخطاب، في قوله:﴿ ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بعد أن كانت الغيبة في بداية الآية في قوله:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾

قال المولى جل جلاله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[4] في الآيتين أسلوب التفات يبدأ من صيغة الغيبة في قوله:﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ متدرجا إلى صيغة الخطاب في قوله:﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[1] سورة الجاثية، الآية: 11، 12.

[2] سورة الجاثية، الآية: 15.

[3] سورة الجاثية، الآية: 25.

[4] سورة الجاثية، الآية: 27، 28

✓ **سورة الأحقاف:**

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] في الآية السابقة الذكر تحول واضح في أسلوب الالتفات فمن الغيبة قوله:﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ أما الخطاب فقوله:﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾

كانت هذه صور أسلوب في سور الحواميم بين التكلم والخطاب، بين التكلم والغيبة، بين الخطاب والتكلم بين الخطاب والغيبة، وبين الغيبة والخطاب، وبين الغيبة والتكلم على أن يتم بيان الوظيفة الإبلاغية لها –اللغة القرآنية من خلال سور الحواميم– من خلال بلاغة الالتفات فيما سيأتي.

ثانيا: الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية من خلال بلاغة أسلوب الالتفات في "الحواميم"

لكل لغة وظيفة إبلاغية وراءها إعجاز بلاغي كبير، واللغة العربية من اللغات التي لها وظيفة إبلاغية، وبما أن القرآن الكريم بإجماع جميع علماء اللغة قد نزل باللغة العربية، فهذا معناه أن للغة القرآن وظيفة إبلاغية، وسيتم التعرف على وظيفة اللغة القرآنية من خلال بلاغة أسلوب بلاغي، الذي تم التعرض له، وهو أسلوب الالتفات، من خلال سور "آل حم"، والتي تم استخراج بعض الآيات منها والتي تبين أقسام الالتفات.

ففي أول صور من صور الالتفات التي تم التعرض لها بين المتكلم والخطاب، تم ذكر عدد من الآيات التي تبينه، منها سورة "غافر" قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

فالطبري يقول فيها: يقول تعالى ذكره:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لملئه ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ الذي يزعم أنه أرسله، فيمنعه منا ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره، أما في قوله: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ فهناك اختلاف فيها، ففيها قراءتان: قراءة لأهل المدينة والشام والبصرة بغير ألف، وقراءة لأهل الكوفة

[1] سورة الأحقاف، الآية: 20.

[2] سورة غافر، الآية: 26.

بألف، والصواب منهما أنهما قراءتان متقاربتان في المعنى، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهر كان ظاهرا. وإذا ظهر فبإظهار مظهر، يظهر ففي القراءتين في ذلك دليل على صحة معنى الأخرى.[1]

فتأويل الكلام إذا: إنني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في أرضكم "أرض مصر" عبادة ربه، الذي يدعوكم إلى عبادته، وكذلك كان عنده هو الفساد[2]

فجاءت صورة الالتفات –كما سبق القول– بين التكلم والخطاب؛ فكانت الوظيفة الإبلاغة التي أدتها الآية المباركة بين "الاخبار" و"التحذير"؛ لأن فرعون ابتدأ كلامه بخطاب مباشر لأهل مصر بإخبارهم بقراره قتل موسى، محذرا إياهم ومتخوفا من موسى وربه ودين التوحيد الذي يدعو إليه، وعليه فالآية أدت وظيفة إبلاغية.

وأيضا الآية الثانية من صور الالتفات في قوله:﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾[3]

قال فيها ابن عاشور: هذا حكاية كلام صدر من موسى في غير حضرة فرعون لا محالة، لأن موسى لم يكن ممن يضمه ملأ استشارة فرعون حين قال لقومه:﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ ولكن موسى لما بلغه ما قاله فرعون في ملئه قال موسى في قومه:﴿ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ﴾ ولذلك حكي فعل قوله معطوفا بالواو لأن ذلك القول لم يقع في محاورة مع مقال فرعون، بخلاف الأقوال المحكية في سورة الشعراء.

وقوله:﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾ خطاب لقومه من نبي إسرائيل تطمينا لهم، وتسكينا لإشفاقهم عليه، من بطش فرعون، والمعنى أني أعددت العدة لدفع بطش فرعون، العوذ بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وفي مقدمة هؤلاء المتكبرين فرعون.[4]

---

[1] ينظر أبو جعفر بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ج20، ط01، 2001م، دار هجر القاهرة، مصر، ص: 308، 309.

[2] ينظر أبو جعفر بن جرير الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص: 309، 310.

[3] سورة غافر، الآية: 27.

[4] ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، (د، ط)، (د، ت) الدار التونسية، ص: 126.

تأكيد الخبر بحرف "إنّ" متوجه إلى لازم الخبر، وهو أن الله ضمن له السلامة، وأكد ذلك لتنزيل بعض قومه، أو جلهم منزلة من يتردد في ذلك، لما رأى من إشفاقهم عليه.

والعوذ: الالتجاء إلى المحل الذي يستعصم به العائذ؛ فيدفع عنه من يروم ضره، وعبّر عن الجلالة بصفة الرّب مضافا إلى ضمير المتكلم؛ لأن في صفة الرّب مضافا إلى ضمير المتكلم؛ لأن في صفة الرب إيهاء إلى توجيه العوذ به، لأن العبد يعوذه بمولاه.

وجعلت صفة: ﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ معنية عن صفة الكفر، أو الاشتراك؛ لأنها تتضمن الاشتراك وزيادة؛ لأنه إذا اجتمع في المرء التجبّر، والتكذيب بالجزاء قلت مبالاته بعواقب أعماله، فكملت فيه أسباب القسوة، والجرأة على الناس.[1]

فمن خلال ما قاله ابن عاشور في التحرير والتنوير يتضح أن للآية وظيفة إبلاغية، أدتها وأوصلتها للمخاطب، فقد جاء الالتفات من التكلم إلى الخطاب ما أظهر أن الوظيفة الإبلاغية لهذه الآية ما هي إلا "توكيد"، و"تحذير" في الوقت نفسه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾[2]

جاء الالتفات هنا من التكلم إلى الخطاب؛ لأن هذه الآية الكريمة احتوت لنداء، فقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ سبق الكلام على إعرابها، وهي منادى منصوبة مقدرة على ما قبل الياء للمتكلم المحذوفة للتخفيف منعا من ظهورها اشتغال المحل بحركة مناسبة، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ فعل أمر وقد حذفت ياء المتكلم لأنه كذلك –فعل أمر– وايضا للتخفيف، وقوله: ﴿أَهۡدِكُمۡ﴾ جواب فعل الأمر، لذا وقع مجزوما، بحذف الياء والكسرة دليل عليها.[3]

وأما في قوله: ﴿أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ فيقال فيه طريقه، والهداية هنا هداية الدلالة؛ لأنه لا يمكن أن يراد بها هداية التوفيق، إذْ إن هداية التوفيق تكون بيد الله عز وجل، لقوله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في سورة القصص، الآية (56): ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي

---

[1] ينظر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص: 127.

[2] سورة غافر، الآية: 38.

[3] ينظر محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة غافر، ط01، 1437هـ، دار الدرة، ص: 311.

مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ أي لا تهدي هداية الإرشاد، وهو ضد سبيل الغيّ، والرشاد هو حسن التصرف، والغيّ هو الضلال، وارتكاب الخطأ عن عمد.[1]

فكانت الوظيفة الأولى والأساسية هي "النداء" في هذه الآية، ولازمتها وظيفة إبلاغية أخرى وهي "الدعوة" لاتباع سبيل الرشاد والهداية.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦﴾[2]

فبداية الآية بـ أي قل يا محمد نهاني الله الذي هو الحي القيوم ولا إله غيره أي دلائل توحيده، أي أذل وأخضع وأرنخ وكانوا دعوه إلى دين آبائه الظالمين، فأمر بأن يقول هذا.[3]

أتى الالتفات في هذه الآية بين التكلم إلى الخطاب، كما قيل فيما مضى– ولهذه الصورة من الالتفات علاقة وثيقة بمعنى الآية الذي وضحّه القرطبي، وبالوظيفة الإبلاغية لهذه الآية والمتمثلة في "شد أذن السامع"، و"إطرائها" من جهة، وأداء الوظيفة، والتي هي "مواجهة" هؤلاء الجاحدين، لذين يدعون لغير الله، وعليه فلهذه الوظيفة لطائف عظيمة، يعجز البيان عن حصرها

وفي أخر آية من سورة غافر التي تبين الصورة الأولى للالتفات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾[4]

اجتمعت عدة التفاتات فيها، ولكل موضع حكمة ربانية، جليلة، عميقة المعنى، ومن الالتفاتات الظاهرة بين التكلم والخطاب، الذي أعطى الآية وظيفة إبلاغية واضحة وهي المجادلة، والحجاج، في قوله: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾

قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر البشر، وعن علي رضي الله عنه: أن الله بعث نبيا أسودا، فهو ممن لم يقصص عليه، وهذا

---

[1] ينظر محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة غافر، ص: 312.

[2] سورة غافر، الآية: 66.

[3] ينظر أبو بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما يتضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي، وآخرون، ج18، ط01، 2006م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص: 378.

[4] سورة غافر، الآية: 78.

في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا، يعني إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل، وما كان لواحد منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فمن أين لي بأن آتي بآية مما تقترحونه، إلا أن يشاء الله، ويأذن في الإتيان بها ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وعيد ورد عقب اقتراح الآيات، وأمر الله: القيامة، ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ هم المعاندون الذي اقترحوا الآيات، وقد أتتهم الآيات فأنكروها، وسموها سحرا.[1]

وبما أن سورة غافر أو سورة مؤمن نزلت في اليهود، فأسلوب الالتفات الذي جاء فيها بصيغة التكلم إلى الخطاب كانت له وظيفة إبلاغية تدور في فلك واحد "التحذير"، و"التوكيد"، و"الإخبار"، و"الدعوة"، و"المجادلة"، و"الحجاج"، وهذا يثبت أن هناك علاقة وطيدة بين أسلوب الالتفات ومعنى الآيات في السور، وكذا بالوظيفة الإبلاغية لكل آية في السورة.

ونبقى في سورة غافر لكن مع ثاني صور الالتفات بين التكلم والغيبة، وردت آيات كثيرة توضح هذا الأسلوب، ومن بينها قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[2]

يقول الله تعالى ذكره مسليا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، عما كان يلقى من مشركي قومه من قريش، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب، ومخبره أنه معليه عليهم، وجاعل دائرة السوء على من حاده، وشاقّه، كسنته في موسى صلوات الله عليه، إذ أعلاه واهلك عدوه فرعون. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ يعني بأدلته ﴿ وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي عذر مبين.

يقول: وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ يقول: فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى

[1] ينظر أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، وتع، ودر: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ج05، 1998م، مكتبة العبيكان، الرياض، ص: 362.

[2] سورة غافر، الآية: 23، 24.

لموسى: هو ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى، ﴿ كَذَّابٌ ﴾ يقول يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا.[1]

كما سبق القول فالالتفات في هذه الآية جاء من صيغة التكلم إلى صيغة الغيبة، وفي هذا حكمة وإعجاز بلاغي، ووظيفة إبلاغية تتمثل في "الإخبار"، و"المواساة"، و"المآزرة" لمحمد صلى الله عليه وسلم، من خالقه، وخال الكون جل جلاله، كما أن الوظيفة الإبلاغية للآية (26) –والتي سبق ذكرها في الصورة الأولى لأسلوب الالتفات، بين التكلم والخطاب– متمثلة في "الإخبار"، و"التحذير"، لكن نفس الآية فيها التفات من التكلم إلى الغيبة، مع اختلاف في الوظيفة الإبلاغية لها، وعدول في الآية في قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فو سار السياق على وتيرة واحدة لقال وقال فرعون ذروني أقتل موسى ولندعو ربنا، وهو موطن الإعجاز في الآية المباركة.

أما في صيغة الخطاب إلى التكلم فهناك العديد من الآيات الموضحة لهذه الصورة م الالتفات، ففي قوله جل جلاله ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2]

في قوله ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ ﴾ حسن خطاب للرجل الذي كان بالأول ينكر عليهم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ ولما أراد أن يتودد إليهم وأن يبين لهم نعمة الله عليهم تلطف في الخطاب فقال ﴿ يَٰقَوْمِ ﴾ وكأنه واحد منهم، وهذا اللطف في الخطاب في جانب الدعوة من الأمور التي أمر الله بها شرعا، لذلك بين لهم نعم الله ودعاهم إلى الحق ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي غالبين، عالين على أهلها.

وقوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال المفسر رحمه الله: أرض مصر، وعلى هذا فـ "أل" في الأرض للعهد الذهني؛ أي الأرض المعهودة أرضكم.

[1] ينظر الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 306، 307.

[2] سورة غافر، الآية: 29.

وقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ أي من عذابه، إن نزل بنا، قال فرعون مجيبا لهذا الرجل ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ يعني ما أظهر لكم شيئا حتى تروه إلا ما أرى أنه الحق، وهو الغي والعناد.[1]

فالوظيفة الإبلاغية في هذه الآية واضحة جدا لأنها كانت في صيغة خطاب مباشر، وتتمثل –الوظيفة الإبلاغية– في "التحذير" بأسلوب مباشر.

أما في قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾[2]

فالخطاب موجه إلى قوم موسى، الذين توسم فيهم قلة وجدوى النصح، فهم كانوا مصممين على تكذيب موسى، فارتقى في موعظتهم إلى اللوم على ما مضى، ولتذكيرهم بأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف لما جاءهم بالبينات، فتكذيب المرشدين إلى الحق شنشة معروفة في أسلافهم فتكون سجية فيهم.

وتأكيد الخبر بـ (قد) ولام القسم لتحقيقه؛ لأنهم مظنة أن ينكروه لبعد عهدهم به.[3] وهذا معناه أن هذه الآية جاءت لتحقيق غاية وأداء وظيفة تتمثل في "الإبلاغ" و"توكيد هذا الإبلاغ" وقد تجلى هذا في الالتفات الذي ظهر فيها من الخطاب، متحولا إلى الغيبة.

وفي أسلوب الالتفات بين الغيبة والتكلم هناك عديد الآيات في سورة غافر، ولكن هذه الآية يمكن أن تبين الوظيفة الإبلاغية للسورة ككل، في هذه الصورة من صور الالتفات، يقول الله تبارك: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧﴾[4]

فيقول الله: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي يختصمون فيها ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ عن الانقياد للأنبياء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ فيما دعوتمونا إليه من الشرك في الدنيا ﴿فَهَلۡ

[1] ينظر محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة غافر، ص: 248–250.

[2] سورة غافر، الآية: 34.

[3] ينظر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص: 138.

[4] سورة غافر، الآية: 47.

أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ أي متحملون ﴿عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي جزءا من العذاب والتبع يكون واحدا، ويكون جمعا في قول البصرين، واحده تابع، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له، كالمصدر، فلذلك لم يجمع، ولو جمع لقيل أتباع.[1]

فالالتفات هنا ظاهر بين الغيبة والتكلم ووظيفته الإبلاغية متجلية واضحة وتتمثل في المحاججة والمجادلة بين المتخاصمين من أهل النار وما ورد سابقا في التفسير دليل ذلك.

وفي آخر لون من ألوان الالتفات المتمثل في الالتفات بين الغيبة والخطاب، نجد في الآيات الموجودة في سورة غافر أن الوظيفة الإبلاغية في فلك واحد تدور، ألا وهو "إثبات عذاب القبر للمشركين الماكرين" إضافة إلى "إثبات وجود نار جهنم" و"قيام الساعة"، و"تحذير المشركين" مما سيصيبهم باستمرار شركهم ذلك.

إذا بعد التعرض لجميع صور الالتفات في سورة غافر يتبين أن للسورة وظيفة إبلاغية مشتركة تحدد هدفها، وغايتها، حيث تتمثل الوظيفة في "الإخبار"، و"الإثبات"، و"التحذير"، والآيات المباركة خير دليل على هذه الوظيفة.

سورة فصلت

بعد أن تم التعرض لسورة غافر ومعرفة جميع صور الالتفات فيها، واستنتاج الوظيفة الإبلاغية لها، وأيضا التعرف على العلاقة الجامعية بين أسلوب الالتفات ومعنى كل آية توصلنا إلى أنها علاقة وطيدة، وأن هناك وظيفة إبلاغية واحدة للسورة، فهل سورة فصلت أيضا لها وظيفة إبلاغية واحدة مشتركة بين جميع آياتها؟

في أول صور الالتفات في هذه السورة نج قوله جل جلاله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾[2]

الالتفات واضح في هذه الآية بين التكلم إلى الخطاب، فالآية تبدأ بالكلام ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ فالأكنة: جمع كنان، وهو الغطاء، والوقر، وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبل الحق، واعتقاده، كأنها في غلف وأغطية، تمنع من نفوذه فيها، ومجّ أسماعهم له كأن بها صمما عنه، ولتباعد المذهبين الديني، كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو

[1] أبو بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما يتضمنه من السنة وآي الفرقان، ص: 367.

[2] سورة فصلت، الآية: 05.

عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل، أو نحوه، فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك ﴿ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على ديننا، أو فاعمل على إبطال أمرنا، إننا عاملون على إبطال أمرك.[1]

من هذا الالتفات المتجلي في الآية المباركة يظهر أن الوظيفة الإبلاغية هي "التحذير" وهي الوظيفة التي تظهر في آيات أخرى تبين الصيغة نفسها في الالتفات –بين التكلم والخطاب– فقط إضافة للتذكير.

وفي الوجه الثاني لأسلوب الالتفات –بين التكلم والغيبة– نجد قوله ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾[2]

فيقول المفسر رحمه الله: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ باردة شديدة الصوت بلا مطر، وريحا هنا جاءت نكرة للتعظيم؛ أي: ريح عظيمة صرصر شديدة الصوت سمع لها صوتا كالرعد من شدتها وشدة اصطدامها بالهواء، والأشجار، والأحجار، والبيوت، ويقول: ﴿ فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ بكسر الحاء وسكونها، مشؤومات عليهم، وقوله: ﴿ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ أي الذل ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فاللام للعاقبة ويحتمل أن تكون للتعليل، وكلاهما صحيح، فإن الله تعالى أرسل عليهم الريح العقيم لهذا الغرض، وقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ أي أشد ﴿ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ فعذاب الآخرة أشد خزيا والعياذ بالله؛ لأن عذاب الدنيا لا يسمع به من سبق، ولا يراه من لحق، وفي الآخرة أيضا لا أحد ينصرهم.[3]

وفي هذه الآية الوظيفة الإبلاغية تدور تارة بين "التعظيم" لقوة الله سبحانه وتعالى، و"التحذير" لهؤلاء المشركين من غضب الله عليهم، والعذاب الذي سيلحق بهم في الدنيا قبل الآخرة لأن عذابها –الآخرة أشد خزيا كما قال الله تعالى والعياذ بالله–

[1] ينظر الزمخشري: الكشاف، ص: 367.

[2] سورة فصلت، الآية: 16.

[3] ينظر محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة فصلت، ص: 100–102.

أما فيما ورد من الالتفات بين الخطاب والتكلم فقوبه تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[1]

ففي قوله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ خطاب موجه لكل عاقل؛ أي: من آياته الدالة على أنه يحي الموتى ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ أي يابسة جدبة، هذا وصف الأرض بالخشوع. قال النابغة:

رماد ككحل العين لأيا أبينه ونوي لجذم الحوض أثلم خاشع

والأرض الخاشعة: الغبراء التي تنبت، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: بالنبات تحركت، ﴿وَرَبَتْ﴾ أي تفتحت وعلت قبل أن تنبت، وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت واهتزت.[2] وفي قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ إدماج لإثبات البعث في أثناء الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق والتدبير.[3]

فالالتفات في هذه الآية واضح؛ فهي تبدأ بالخطاب، ونتقتل إلى التكلم، وفي هذا الانتقال وظيفة إبلاغية يمكن القول من خلال التفسير أنها تتمثل في "الاستدلال بالمحسوس" من جهة، والمتمثل في إنبات الأرض اليابسة، وإحياء الموتى، وأيضا "التأكيد" على قدرة الخالق، الذي أنكرها القوم الكافرون.

وفي السورة نفسها تم استخراج آيات في الالتفات بين صيغتي الخطاب والغيبة، ومن ذلك قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[4]

ففي هذه الآية يتراء لنا أن الالتفات بين الخطاب والغيبة، وأن له وظيفة إبلاغية واضحة جدا، فالله عز وجل يحذر من الانسياق وراء نزوات الشيطان، والابتعاد عنه، فكانت الوظيفة

---

[1] سورة فصلت، الآية: 39.

[2] ينظر أبو بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما يتضمنه من السنة وآي الفرقان، ص: 425، 426.

[3] ينظر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص: 303.

[4] سورة فصلت، الآية: 36.

الإبلاغية لها "التحذير"؛ فالشيطان ينزغ الإنسان، كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي، وجعل النزع نازعا، كما قيل: جدّ جدّه، أو أريد، وإما ينزغنك نازغ واصفا للشيطان بالمصدر، أو لتسويله والمعنى: إن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ من شره، وامض على شأنك ولا تطعه–الشيطان–[1]

وهي الوظيفة نفسها التي تؤديها الآية (52) من السورة نفسها، وفي السياق نفسه أسلوب الالتفات بين الخطاب والغيبة.

وظهرت سورة فصلت أيضا بعديد الآيات تبين الالتفات بين الغيبة والكلام، وبين الغيبة والخطاب، فمن الآيات التي تبين الالتفات بين الغيبة والتكلم قوله جل جلاله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[2]

فقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ حديث غيبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أحسن أيها الناس قولا ممن قال: ربنا الله، ثم استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك. وقوله: ﴿ ﴾ يقول: وقال: إنني ممن خضع لله بالطاعة، وذل له بالعبودية، وخشع له بالإيمان بوحدانيته.[3]

فالوظيفة الإبلاغية لهذه الآية تظهر متعددة، وليست واحدة، فهي تارة "الاستفهام" وتارة "النفي" وتارة أخرى "الإبلاغ والتوكيد"، وهذا طبيعي، وله علاقة وثيقة بمعنى الآية، وهو الشيء نفسه بالنسبة للآيات الأخرى.

أما من الآيات التي تبين الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾[4]

---

[1] ينظر الزمخشري: الكشاف، ص: 384.

[2] سورة فصلت، الآية: 33.

[3] ينظر الطبري: تفسير الطبري، ص: 429–431.

[4] سورة فصلت، الآية: 37.

فقوله ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ﴾ أي: آيات الله عز وجل، والآية في اللغة العلامة، وهي بالنسبة لآيات الله ما كان علامة على قدرة الله عز وجل، وقوته، وحكمته، وعلمه، ورحمته، وغير ذلك، ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ الليل بظلامه والنهار بضيائه، هذا من آيات الله، لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك إطلاقا، وكذلك من آياته الشمس والقمر، وما أعظمهما من آية، ثم قال تعالى ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ الخطاب لجميع العباد، نهاهم عن أن يسجدوا للشمس وللقمر؛ لأن من الناس من يعبد الشمس والقمر.

وقوله: ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ يقول المفسر رحمه الله: اللآيات الأربع – الليل والنهار والشمس والقمر – والمراد بالسجود هنا هو الذل، ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ يعني إن كنت صادقين في عبادته، فلا تسجدوا لغيره؛ لأنه من يعبد الله ويعبد غيره ليس صادقا في عبادته؛ فالصادق في عبادته هو الذي يخلص العبادة لله عز وجل.[1]

وهنا في هذه الآية يظهر أن وظيفتها الإبلاغية تتمثل في "بيان آيات الله" و"النهي" الذي يظهر بصورة واضحة، ومباشرة في قوله: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ وأيضا في هذه الآية إعجاز واضح في قوله: ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ فقد ذكر –القرآن– الحكم، وذكر الدليل العقلي عليه، وهذا أمر شرعي، واضح، فقوله ﴿ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ دليل عقلي قدري على أن المستحق للسجود هو الذي خلق هذه الآيات، وهذا من بلاغة اللغة القرآنية، وإعجازها.

وبهذا تكون الوظيفة الإبلاغية لسورة فصلت أو سورة "حم السجدة" التي نزلت لمواجهة المشركين، واليهود، تدور بين "بيان قدرة الله عز وجل"، و"تعظيمها"، و"الإبلاغ"، و"التوكيد" و"الاستفهام"، و"النفي"، و"النهي"، و"التحذير"، و"الاستدلال"، كل هذه الوظائف الإبلاغية قد تجلت في آية من آياتها؛ لتبلغ رسالة لهؤلاء المشركين، لعل وعسى أن يغيروا من آراءهم ويعودوا إلى بارئهم، ويتبوا إليه.

[1] ينظر محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، ص: 198، 199.

سورة الشورى

وكما ورد الالتفات في السورتين السابقتين –غافر وفصلت– فسورة الشورى هي الأخرى كان لها الحظ الأوفر بأن كان فيها العديد من الآيات التي تبينه –الالتفات– فمن التكلم إلى الخطاب، قوله جل جلاله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾[1]

أعديت ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ﴾ ليبنى عليها ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ وهي معطوفة من على جملة: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾ فأصل النظم: وكذلك يوحي إليك الله العزيز الحكيم قرآنا عربيا، مع ما حصل بتلك الإعادة من التأكيد؛ لتقريره ذلك المعنى أفضل تقرير، والعدول عن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم عظمة الالتفات، وفي هذا إشارة إلى أنه لا فرق بين ما أوحى إليك وما أوحي إلى من قبلك إلا اختلاف اللغات، والقرآن: مصدر قرأ، وأطلق هنا على المقروء مبالغة في الاتصاف بالمقروئية لكثرة ما يقرأه القراء؛ وذلك لحسنه وفائدته، ﴿عَرَبِيّٗا﴾ نسبة إلى العربية؛ أي لغة العرب، لأن كونه قرآنا يدل على أنه كلام، فرصفه بكونه عربيا يفيد بأنه كلام عربي.[2]

وقوله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ تعليل لـ ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ لأن كونه عربيا يليق بحال المنذرين به، وهم أهل مكة، ومن حولها، فأولئك هم المخاطبون بالدين، ابتداء لما اقتضته الحكمة الإلهية من اختيار الأمة العربية، والمعنى لتنذر أم القرى وهي مكة، ومن حولها، ما ينذرونه من العذاب في الدنيا والآخرة، ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي تنذر يوم القيامة، وسمي "بيوم الجمع" لأن الخلائق تجمع فيه للحساب، ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ أي فريق من المجموعتين بهذا الجمع في الجنة، وفريق في السعير أي جهنم.[3]

فالالتفات في هذه الآية وقع بين التكلم والخطاب، فقد كان هناك عدول في الآية، من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ﴾ ولهذا العدول وظيفة إبلاغية،

---

[1] سورة الشورى، الآية: 07

[2] ينظر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص: 35، 36.

[3] ينظر المرجع نفسه، ج25، ص: 36، 37.

وإعجاز بلاغي يكمن في توجيه رسالة إلى فئة معينة، والتي هي حسب الآية فئة أهل مكة، فكانت الوظيفة الإبلاغية لها "الإنذار"، و"التحذير"، وهي نفس الوظيفة التي تظهر في الآية الموالية من السورة نفسها، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾[1] لأن الالتفات هنا تحول من التكلم إلى الغيبة، غير أن هذا التحول لم يغير من الوظيفة الإبلاغية، وهذا إعجاز لغة القرآن.

أما في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[2]

فهو التفات من الخطاب إلى التكلم، فقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ أي سن لكم، وهو خطاب لهذه الأمة، ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ قال الشارح رحمه الله: وهو أول أنبياء الشريعة، وأول رسلها، وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعني شرع لكم الذي أوحينا إليك، والوصية هي العهد بالشيء الذي يهتم به، وهو القرآن ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ فقد ذكر هنا الله تعالى أول الأنبياء وآخرهم، ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ يعني اتقوا به، مستقيما غير منحرف، والمراد به العمل على قيامة دين الله عز وجل، ولا تفرقوا فيه، فتكونوا أحزابا، فنهى الله جل جلاله عن التفرق في الدين بينهم.

وقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ قال المفسر رحمه الله: ﴿كَبُرَ﴾ بمعنى عظم، واشتد عليهم ما تدعون إليه، وهو التوحيد، ليقول ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ أي يختار ويصطفي إلى التوحيد من يشاء، ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي يهدي إلى طاعته من يقبل إلى طاعته.[3]

---

[1] سورة الشورى، الآية: 08.

[2] سورة الشورى، الآية: 13.

[3] ينظر: محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة الشورى، ص: 128–137.

وظيفة هذه الآية الإبلاغ؛ من خلال أسلوب الالتفات المتجلي بين الخطاب والتكلم "الدعوة"، و"الإثبات"، و"النهي".

وفي قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[1] وفي قوله أيضا: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾[2]

التفات واضح بين الخطاب والغيبة، أدى إعجازا بلاغيا ذا أثر كبير، ووظيفته إبلاغية تتمثل في "الإثبات" تارة في قوله ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ و"التزهيد" في الدنيا وأنها زائلة، و"الإنذار" للكفار، و"الثناء" تارة أخرى؛ لأنه قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أيْ المعصية، وأيُ مصيبة أعظم من نسيان القرآن، وهذه المصيبة؛ أي المعصية التي وقعتم فيها ما هي إلا مما كسبت أيديكم، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ إن عفو ربي عما بقي أكثر.[3]

وأما قوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ فالمقصود أن الله تعالى لما حمدهم على هذه الصفات من الإيمان، والتوكل، ومجانبة الكبائر، والاستجابة لربهم، وإقام الصلاة، والاشتوار في أمرهم، ونحو ذلك كان هذا دليلا على أن ضد هذه الصفات ليس محمودا، بل مذموم، فهذه الصفات مستلزمة لعدم ضدها؛ لأن حمدها والثناء عليها طلب لها، وأمر بها، ولو أنه أمر استحباب، والأمر بالشيء نهي عن ضده، قصدا أو لزوما، وهكذا[4] لذا جاءت الوظيفة الإبلاغية على تلك الحالة.

أما فيما ورد من آيات في هذه السورة فيما يخص الالتفات بين الغيبة والتكلم وبين الغيبة والخطاب فهو كثير، فمن الالتفات بين الغيبة والتكلم قوله تعالى:﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ

---

[1] سورة الشورى، الآية: 30.

[2] سورة الشورى، الآية: 36.

[3] ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص: 477-479.

[4] ينظر ابن تيمية: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، جمع، وتق، وتح: محمد السيد الجلين، ج04، (د، ط)، (د، ت)، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ص: 520.

مَن يَشَأۡ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾[1]

فقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾ أي من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ أي من كان يريد بعمله الدنيا، ولها يسعى لا للآخرة نؤته منها ما قسمنا له منها، ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ والمعنى أنه ليس لمن طلب بعمله الدنيا ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا –حظّ–[2]

الالتفات الحاصل في الآية أدى وظيفة إبلاغة واضحة تمام الوضوح، تتمثل في "الحثّ" و"الدعوة" بطريقة غير مباشرة، إضافة إلى "التحذير" من إرادة الدنيا، وأيضا "الإثبات" لكرم الله على عباده.

أما الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ٦﴾[3]

حيث التفت العزيز الحكيم في هذه الآية من الغيبة إلى الخطاب، فكانت الوظيفة الإبلاغية متمثلة في "البيان" لسفه أولئك المتخذين أولياء من دون الله، و"الإبلاغ" للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بأنه ليس بوكيل على أحد غير، فالله وحده الذي يملك هذه السلطة، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني الذين اتخذوا الأصنام يعبدونها، ويذبحون لها، وينذرون لها، وهم عن الله غافلون ﴿حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي محص عليهم ليجازيهم، فيحفظ أعمالهم، ويراقبها، ولا يفوته شيء منها، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي تحصيل المطلوب منهم،

[1] سورة الشورى، الآية: 20.

[2] ينظر الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 491.

[3] سورة الشورى، الآية: 06.

وما عليك إلا البلاغ، وهو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، يبين أنه ليس بحفيظ عليهم ولا بوكيل، فما عليه إلا أن يبلغ.[1]

وبهذا يمكن القول: أن الوظيفة الإبلاغية لسورة الشورى التي نزلت في الأنصار وأصحاب الصّفّة، واليهود، تتمحور حول "الإنذار"، و"التحذير" بصفة كبيرة، إضافة إلى "الدعوة"، و"الإثبات"، و"النهي"، و"الثناء"، و"الحمد" لهؤلاء الأنصار واليهود الذين يسعون إلى الدنيا دون الآخرة، وينفون وجود الله، ولا يقرون بعفوه، وقدرته، وهذه الوظيفة الإبلاغية تبين مدى الإعجاز البلاغي لأسلوب الالتفات فيها –السورة–، وايضا الإعجاز البلاغي للسورة ككل.

سورة الزخرف:

السورة الرابعة من سور الحواميم والتي لم تذكر المراجع أسماء أخرى لها –كما سبق القول– كان لها الحظ في أن يتم استخراج عدد من الآيات التي تبين أنواع الالتفات فيها، وأول آية وردت تبين الالتفات بين التكلم والخطاب قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾[2]

جعل الله قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ جوابا للقسم بالكتاب المبين في الآية السابقة، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ ومعناه صيرناه أو خلقناه قرآنا عربيا، "لعل" تفيد معنى الترجي، أي خلقناه عربيا غير أعجمي؛ إرادة أن تعقلوه[3]

الالتفات المتجلي في هذه الآية في أول صوره يؤدي وظيفة إبلاغية واضحة، تتجلى في "القسم" الذي يبين فصاحة القرآن الكريم.

أما في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ﴾[4]

فهو التفات من التكلم إلى الغيبة، جاءت وظيفته الإبلاغية متمثلة في "البيان"، و"التحذير" إضافة إلى "إثبات" صفات الله.

---

[1] ينظر: محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة الشورى، ص: 49، 50.

[2] سورة الزخرف، الآية: 03

[3] ينظر الزمخشري: الكشاف، ص: 424، 425.

[4] سورة الزخرف، الآية: 08، 09.

لأن الكلام موجه للقوم المسرفين، والضمير في قوله: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ يبين ذلك؛ لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخبره عنهم، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي سلف في القرآن في غير موضع منه، ذكر قصتهم، وحالهم العجيبة. ويواصل الخطاب مع الرسول بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي ضمير الغائب العائد على القوم المسرفين، ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي الذي من صفته كيت وكيت، لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه، وليسندنّه إليه.[1]

وفي وقوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2]

يقول الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ ومن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمساءلتهم ذلك؟ فقال بعضهم: الذين أمر بمساءلتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنو أهل الكتاب، التوراة والإنجيل، وقال آخرون: بل الذين أمر بمساءلتهم ذلك الأنبياء، الذين جمعوا له ليلة أسري به إلى بيت المقدس. وقوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ يقول: أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله، فيما جاءهم به.[3]

أما في الآية الثانية في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أرسلنا موسى يا محمد بحججنا إلى فرعون، واشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من قريش إني رسول الله إليكم.[4] ليكون الالتفات بين صيغتي الخطاب والتكلم، وتكون الوظيفة الإبلاغية للآية المباركة بين "الاستفسار"، و"الاستفهام" الموجهين في الخطاب إلى الرسول عليه أفضل الصلوات، و"الإبلاغ"، و"البيان"

---

[1] ينظر الزمخشري: الكشاف، ص: 426، 427.

[2] سورة الزخرف، الآية: 45، 46.

[3] ينظر الطبري: تفسر الطبري، ص: 603-606.

[4] ينظر المرجع، ص: 607.

والعدول من الغيبة إلى التكلم في هذه السورة المباركة يظهر في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠﴾[1] فيه إعجاز عظيم ووظيفته الإبلاغية تتمثل في "الدعاء"، و"الإنكار"

لأنه لما جاء الرسول بالقرآن من عند الله لهؤلاء المشركين، وقالوا: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ﴾ يسحرنا به، وليس بوحي من الله، ﴿ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي وإنّا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من عند الله.[2]

وفي أخر صورة من صور الالتفات المتمثلة في التحول من الغيبة إلى الخطاب نجدها في قوله: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾[3]

أي لهم من الجنة أطعمة، وأشربة يطاف بها عليهم، في صحاف من ذهب، وأكواب، ولم يذكر الأطعمة، والأشربة، لأنه يعلم أنه لا معنى للإطافة بالصّحاف، والأكواب عليهم من غير أن يكون فيها شيء.[4]

وقوله: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ أي ما تشتهيه النفس من ملذات، وتحسن في الأعين، ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ خطاب موجه لهم بمعنى باقون، ودائمون.[5]

كانت الوظيفة الإبلاغية لهذه الآية "البيان"، و"الإفصاح"، و"التورية"؛ لتكون الوظيفة الإبلاغية لسورة الزخرف التي فيها تمثيل زائف متاع الدنيا، والتي جاءت لتسكت أفواه مشركي قريش المتعالين، دائرة بين "القسم"، و"البيان"، و"الإثبات"، و"الإفصاح"، وكذا "الاستفسار" و"الاستفهام" و"التحذير"، و"التورية". وتكون بذلك مشتركة في بعض الوظائف مع سابقاتها من سور "آل حم".

---

[1] سورة الزخرف، الآية: 30.

[2] ينظر الطبري: تفسر الطبري، ص: 579.

[3] سورة الزخرف، الآية: 71.

[4] ينظر المرجع السابق، ص: 78.

[5] ينظر المرجع نفسه، ص: 82، 83.

سورة الدخان:

لم تتعدد آيات الذكر الحكيم في سورة الدخان، والتي تبين أول صورة من صور الالتفات بين التكلم والخطاب، فوردت آية واحدة، هي قوله جل شأنه: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1]

أي سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك، وبلغتك، إرادة أن يفهمه قومك؛ فيتذكروا، ويعودوا لله رب العالمين.[2]

فالالتفات بين التكلم والخطاب جعل الآية تؤدي وظيفة إبلاغية تتمثل في "النهي"، و"التحذير" وإن كان بطريقة غير مباشرة، ففي هذه الآية عدول واضح؛ لأنه لو أراد المطابقة لكان الكلام على الأسلوب التالي: يسرناه بلساننا، وهنا يكمن موضع الإعجاز البلاغي.

وفي ثاني صورة تعبيرية من صور الالتفات، نجد قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[3]

فقوله: ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ﴾ قال النقّاش: الأمر هو القرآن، أنزله الله من عنده، وقال ابن عيسى: هو ما قضاه الله في الليلة المباركة من أحوال عباده، وهو مصدر موضح للحال، وكذلك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾ وهما عند الأخفش حالان، تقديرهما: أنزلناه آمرين به وراحمين من ربك إنه هو السميع العليم.[4]

والذي يبين أن الالتفات حدث من التكلم إلى الغيبة؛ فكانت الوظيفة الإبلاغية "النهي" لأولئك الذين كانوا على ظلال، ولم يهتموا بما أنزله الله –القرآن– فكانت الوظيفة الإبلاغية من خلال الالتفات الوارد في سورة الدخان، في الآيات قليلة، والتي نزلت في الكفار؛ لتخويفهم بسبب تكذيبهم للرسول "النهي"، و"التحذير" مما سيصيبهم من هلاك، إذا استمروا في تكذيبهم هذا، وكفرهم.

---

[1] سورة الدخان، الآية: 58.

[2] ينظر الزمخشري: الكشاف، ص: 478.

[3] سورة الدخان، الآية: 05، 06.

[4] ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص: 103.

سورة الجاثية:

قال الله جل شأنه في أول لون من ألوان الالتفات بين التكلم والخطاب: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾[1]

فقوله: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ يعني يستحضر جميع أعمالكم، من غير زيادة ولا نقص، وقوله: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ أي أنّا كنّا نامر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم، بما كنتم تفعلون، وتنوون، تجهرون، وتخفون.[2] هذا التحول من التكلم إلى الخطاب نتجت عنه وظيفة إبلاغية تتمثل في "التنويه"، و"التذكير" للغافلين عن الله، وقدرته، في معرفة ما يعملون، سواء أجهروا بها أم أخفوها.

أما في اللون الثاني من الالتفات فقال الله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[3]

انتقال من وصف تكذيبهم بالآيات، واستهزائهم بها، ثم من أمر المؤمنين بالصفح عنهم، وإيكال جزاء صناعهم إلى الله، ثم من التثبيت على ملازمة الشريعة الإسلامية، إلى وصف صنف آخر من ضلالهم، واستهزائهم بالوعد والوعيد، وإحالتهم الحياة بعد الموت، والجزاء على الأعمال، وتخييلهم للناس أنهم يصيّرون للآخرة، على الحال التي كانوا عليها في الدنيا، وخلق الله السماوات بالعدل يستدعي التفاوت بين المسيء والمحسن، والانتصاف للمعتدى عليه من المعتدي.[4]

ففي هذه الآية الكريمة عدول من التكلم إلى الغيبة، فلو كان الكلام على أسلوب واحد لكان: خلقنا، وليس خلق الله، وفي هذا العدول وظيفة إبلاغية واضحة تتجلى في "بيان الجزاء" و"التذكير" بمنزلة كل واحد منهم.

---

[1] سورة الجاثية، الآية: 29.

[2] ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد وآخرون، مج12، ط01، 2000م، مؤسسة قرطبة، الجيزة، ص: 366.

[3] سورة الجاثية، الآية: 21، 22.

[4] ينظر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص: 351–356.

بهذا الشكل وفي كل ألوان الالتفات الستة تظهر وظيفة إبلاغية واحدة، تدور في سورة الجاثية، أو سورة الدهر التي نزلت لإقامة الأدلة والبراهين وهي "التنويه"، و"التذكير" تارة و"البيان" و"إقامة الحجة" تارة أخرى.

سورة الأحقاف

أما في آخر سورة من سور الحواميم وهي سورة الأحقاف فكان الالتفات فيها بارزا، لكن ليس بعدد كبير من الآيات التي توضحه، ففي الصيغة الأولى منه ورد قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ ﴾[1]

يقول الله تبارك وتعالى: قالت عاد لهود إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم: أجئتنا يا هود لتصرفنا عن آلهتنا، إلى عبادة ما تدعونا إليه، وإلى اتباعك على قولك، فأتينا بما تعدنا، من العذاب، إن كنت نت أهل الصدق، في قوله وعِدَاته.[2]

الوظيفة الإبلاغية في هذه الآية واضحة جدا، من خلال الالتفات الحاصل بين التكلم والخطاب، وتتمثل في "الإنكار"، و"التكذيب" من قوم عاد لرسولهم، الذي بشرهم بالعذاب الأليم في حال استمرارهم في الكفر.

وفي الصورة الثانية من صور الالتفات، والتي هي بين التكلم والغيبة تبرز في قوله جل جلاله: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨ ﴾[3]

فقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ يعني أهل مكة، فقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد، وغيرها، ﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي بيناها ووضحناها، ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي فهلا نصروهم عند احتياجهم إليهم، ﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ﴾ أي بل ذهبوا عنهم

[1] سورة الأحقاف، الآية: 22.

[2] الطبري: تفسير الطبري، ج21، ص: 154، 155.

[3] سورة الأحقاف، الآية: 27، 28.

أحوج ما كانوا إليهم، ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي يكذبهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي وافتراؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها، واعتقادهم عليها.[1]

وفي هذه الآية المباركة انزياح، وخروج عن التكلم إلى الغيبة، أدى إلى ظهور وظيفة إبلاغية، واضحة تمام الوضوح، وهي "التحذير" مما سيصيبهم كما أصاب الذين من قبلهم من هلاك.

وتكون بهذا القدر سورة الأحقاف مثيلة لسورتي الزخرف والدخان، اللاتي لم تذكر لهن أي مصادر أسماء أخرى غير هذه الأسماء، فجاءت سورة الأحقاف مبينة مساكن عاد، التي كانت أحقافا، وفي السورة وظيفة إبلاغية مرسومة الخطى، تتمثل في "الإنكار" و"التكذيب" من طرف قوم عاد لرسولهم، و"التحذير" لهم مما سيصيبهم من عذاب عظيم كما أصاب الذين من قبلهم.

من خلال التعرض لآيات الذكر الحكيم في سور الحواميم المبينة لصور الالتفات الستة يتبين أن جميع السور تشترك في وظائف إبلاغية منها: "النهي"، و"النفي"، و"التحذير"، و"الإثبات"، و"التذكير"، و"الإبلاغ".

وعليه فاللغة القرآنية في جميع السور لها وظيفة إبلاغية واحدة، قد تختلف هذه الوظيفة فقط في بعض الآيات.

[1] ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج13، ص: 28.

ثالثا: جدول تفصيلي لصور الالتفات الممكنة في اللغة القرآنية ووظيفتها الإبلاغية

الآية والسورة	نوع الالتفات	الوظيفة الإبلاغية
سورة غافر		
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾	**من التكلم إلى الخطاب**	**الأمر والتخويف**
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾	**من التكلم إلى الغيبة**	**التكذيب والإنكار**
﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾	**من الخطاب إلى التكلم**	**الإبلاغ والإثبات والأمر**

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾	من الخطاب إلى الغيبة	الأمر مع الإخبار
﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾	من الغيبة إلى التكلم	التكذيب والإخبار
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠﴾	من الغيبة إلى الخطاب	الدعوة والتحذير
سورة فصلت		

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ ﴾	من التكلم إلى الخطاب	الإنكار والتكذيب والدعوة
﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦ ﴾	من التكلم إلى الغيبة	الإبلاغ والإفصاح والتأكيد
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾	من الخطاب إلى التكلم	الإبلاغ والتحذير
﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾	من الخطاب إلى الغيبة	النهي والتحذير
﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ		

ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾	من الغيبة إلى التكلم	التكذيب والتعظيم
سورة الشورى		
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾	من التكلم إلى الخطاب	الإبلاغ والإنذار والتحذير
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾	من التكلم إلى الغيبة	الإنذار والتحذير والتوحيد

﴿ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾	من الخطاب إلى التكلم	الإخبار والأمر والنهي
﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾	من الخطاب إلى الغيبة	الحسرة والتمني

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾	من الغيبة إلى التكلم	البيان والتأكيد
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾	من الغيبة إلى الخطاب	التوعد بالتحذير والإخبار
سورة الزخرف		
﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾	من التكلم إلى الخطاب	التحذير والمواجهة والتخصيص
﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾	من التكلم إلى الغيبة	الدعوة والتحذير
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ	من الخطاب إلى التكلم	التكذيب والإنذار والبيان

إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾	من الغيبة إلى الخطاب	البيان والدعوة
سورة الدخان		
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	من التكلم إلى الخطاب	النهي والتحذير
﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾	من التكلم إلى الغيبة	النهي والتحذير
﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾	من الخطاب إلى الغيبة	الترجي والاستهزاء

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨﴾	**من الغيبة إلى الخطاب**	**التذكير والتبليغ والدعوة**
سورة الجاثية		
﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾	**من التكلم إلى الخطاب** **من التكلم إلى الغيبة**	**التشويه والتذكير** **بيان الجزاء والتذكير**

سورة الأحقاف		
﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ ﴾	من التكلم إلى الخطاب	التكذيب والإنكار
﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨ ﴾	من التكلم إلى الغيبة	التحذير
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ ﴾ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ	من الخطاب إلى الغيبة	الإنكار والإخبار

إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾	من الغيبة إلى التكلم	الترجي والدعوة

خاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي قدر لي التوفيق والنجاح في كتابة هذا البحث، وأرجو من الله عز وجل أن يكون في المستوى المطلوب، فقد جمعت مجموعة من المعلومات الشاملة بعد مشوار طويل من البحث والاطلاع، وتجميع المعلومات من مصادرها القيمة، داعية ربي أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم.

في ختام هذا البحث خلصت إلى مجموعة ملاحظات، واستنتاجات، هذه الأخيرة كانت ثمرة المحاولة في رصد الوظيفة الإبلاغية للغة القرآن ككل؛ من خلال الوظيفة الإبلاغية لسور الحواميم، وبالتالي الإجابة على الإشكالية التي طرحت نفسها في مقدمة هذا البحث، وتتمثل هذه الاستنتاجات فيما يلي:

- بالرغم من أن مصطلح الوظيفة الإبلاغية مصطلح حديث في الدراسات اللغوية المعاصرة، إلا أن القدامى من العلماء كان لهم الأثر البارز فيه، منهم عبد القاهر الجرجاني وغيره كثير.
- لكل لغة وظيفة إبلاغية، والعربية من اللغات التي لها وظيفة إبلاغية، لكن هذه الوظيفة تختلف حسب سياق تلك اللغة التي تأتي فيها.
- صحيح أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، والتي قال فيها أغلب العلماء إن لم نقل كلهم أنها أفصح اللغات –اللغة العربية– إلا أن اللغة القرآنية تتسم وتتميز بمميزات وخصائص لا توجد في غيرها من اللغات البشرية، والتي منها العربية.
- تتمثل خصائص اللغة القرآنية في أربع خصائص لا أكثر: التعالي، والشفافية والتطابقية، والنسقية، والتي تغنيها، وتثريها، عن باقي اللغات؛ لتجعلها لغة مميزة، لم تسبقها ولم تليها لغة.
- في اللغة القرآنية توجد العديد من الظواهر البلاغية، التي نجدها في اللغات البشرية، من بينها ظاهرة الالتفات البلاغية، والتي توجد في كل سورة من سور الذكر الحكيم، والتي لا تخرج عن مفهوم الانصراف، والتحول، والعدول.
- الوقوف على ظاهرة الالتفات في القرآن الكريم مكنت من الوصول إلى الوظيفة الإبلاغية للغة القرآن.

- سور الحواميم السبع كانت أقرب وأكثر نموذج يوضح ظاهرة الالتفات، إضافة إلى أن الدراسات لم تتناولها من قبل.
- دراسة الالتفات في النص القرآني للوصول إلى الوظيفة الإبلاغية يقع في القمة، من حيث القيمة في الدراسات البلاغية، فهو يكشف عن بعض دلائل الإعجاز البلاغي له، كما يثري وعينا باللغة، والبلاغة معا.
- الوظيفة البلاغية لسور الحواميم وظيفة واحدة، وذلك باعتبار أن السور مكية من جهة ولأن السور كانت موجهة لفئة معينة.
- لكل سورة من سور القرآن الكريم وظيفة إبلاغية تؤديها، لكن كل السور تجتمع وتشترك في وظائف بلاغية متعددة: كالإنذار، والتوبيخ، والتحذير، والنهي، والإبلاغ، والدعوة، والإثبات والتعظيم...
- وراء الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها اللغة القرآنية إعجاز بلاغي كبير، يدل على أن الله سبحانه وتعالى تدبر في خلقه وآيه الحكيم؛ لبين قدرته للبشر، وبأن لا أحد يضاهيه، والقرآن الكريم كان خير دليل على ذلك، ففصاحته، وبلاغته، وإعجازه، لم يظهر، ولم يتجل في أي لغة، فسبحان من تكلم به.

وجماع الأمر بعد هذه الوقفة التي كانت للبحث، يمكن القول بأن المتأمل في كتاب الله العزيز يجد أن لكل سورة وظيفة إبلاغية، لكن السور تشترك في وظائف إبلاغية، والتي تم ذكرها آنفا.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أسأل الله عز وجل بعزته وقدرته أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعل جهدي هذا مفتاحا لدراسات أخرى.

وصلى الله على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. القرآن الكريم، رواية حفص

المراجع

أولا: الكتب العربية

1. ابن تيمية: دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، جمع، وتق، وتح: محمد السيد الجلين، ج04، (د، ط)، (د، ت)، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
2. ابن جني: الخصاص، تر: محمد على النجار، ج01، (د، ط)، 1952م، دار الكتب المصرية، مصر.
3. ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسبح، ط01، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
4. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد وآخرون، مج12، ط01، 2000م، مؤسسة قرطبة، الجيزة.
5. أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج01، (د، ط)، (د، ت)، مكتبة نزار مصطفى الباز.
6. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، وتع، ودر: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ج05، 1998م، مكتبة العبيكان، الرياض.
7. أبو بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما يتضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي، وآخرون، ج18، ط01، 2006م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
8. أبو جعفر بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ج20، ط01، 2001م، دار هجر القاهرة، مصر.
9. إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، ط01، 1926م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

10. أنيس فريحة: نظريات في اللغة، إشراف: ريمون طحان، وأنيس فريحة، ط02، 1981م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
11. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الديمياطي، (د، ط)، 2006م، دار الحديث، القاهرة، مصر.
12. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، ج01، (د، ط)، (د، ت)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الشؤون العلمية، المملكة العربية السعودية.
13. خلال الدين السيوطي، أسرار تريب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا، ومرزون على إبراهيم، (د، ط)، (د، ت)، دار الفضيلة، القاهرة.
14. شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تح: على عبد الباري عطية، ج06، ط01، 1415هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
15. الطبري: تفسير الطبري، ج21، ص: 154،
16. عبد الجليل عبد الحميد: لغة القرآن الكريم، ط01، 1981م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن.
17. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج01، 1996م، دار القلم، دمشق، سوريا.
18. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، ط01، 2007م، دار الفكر، دمشق، سوريا.
19. عبد الله بن المعتز: البديع، تح: عرفان مطرجي، ط01، 2012م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
20. عدنان محمد زرزور: علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان وإعجازه، ط01، 1981م، المكتبة الإسلامي، بيروت.
21. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ط01، (د، ت)، مطبعة الجوائب، قسنطينة
22. الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: لأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات، (د، ط)، 2009م، المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية، الأردن.
23. الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم: لأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات

24. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، (د، ط)، (د، ت) الدار التونسية.
25. محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم، تفسير القرآن الكريم، سورة غافر، ط01، 1437هـ، دار الدرة.

ثانيا: المعاجم والقواميس

1. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج05، (د، ط)، (د، ت)، دار الفكر، (د، م)
2. ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج01، باب اللام، (د، ط)، (د، ت)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
3. آدم البمبا: أسماء القرآن الكريم وأسماء سورة وآياته، معجم موسوعي ميسر، ط01، 2009م، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي.
4. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مرتبا على حروف المعجم، تر، وتح: عبد الحميد هنداوي، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
5. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. إبراهيم فواتيح عبد الرحيم: لغة الخطاب القرآني بين جمالية البيان وصرامة المنطق (أطروحة دكتوراه)، إشراف: سليمان عشراتي، جامعة وهران الثانية، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2012م-2013م.
2. أحمد عاطف محمد كلاب: منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية دراسة تحليلية، (رسالة ماجستير)، إشراف: فوزي إبراهيم موسى أبو فياض، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2013م

3. تقزوت سامية وسكري أمال: منهج النحو عند عبد القاهر الجرجاني في دراسة اللغة العربية من خلال كتابه دلائل الإعجاز، (مذكرة ماستر)، إشراف: صباح الجودي، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر، كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، 2015-2016م، مقدمة الرسالة.

4. الدراجي فاضل: الخطاب اللساني عند الجاحظ (مذكرة ماستر)، إشراف: دلولة خلدون، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 2012-2013م.
5. محمد بوهند: جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني دراسة بلاغية لآيات الأسماء الحسنى، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: محمد طول، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، شعبة القرآن الكريم، والدراسات الأدبية، 2016م-2017م.

رابعا: المواقع

1. عز الدين البوشيخي: لغة القرآن رؤى جديدة، قناة التفسير، اليوتيوب، 23 مارس 2019م، 12:00، مركز تفسير الدراسات القرآنية، اللقاء 17، تق: يوسف بن صالح العقيل، ديوانية الأستاذ عبد الله السدي بحي النفل.
2. ملخص كتاب البيان والتبيين، المستقبل نصنعه.
3. منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، كتب يوم السبت 19 سبتمبر 2015م، 7:21، أبو أوس إبراهيم الشمسان.
4. منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه.

الـــفـــهـــرس

فهرس الموضوعات

المحتويات

مـــقدمـــة .....أ – هـ

المدخل: مراحل الدرس الوصفي للغة..... 1

1-مرحلة الخليل وسيبويه:..... 2

2-مرحلة المدارس النحوية: المدرسة الجاحظية..... 5

3-مرحلة الوظيفة الإبلاغية (عبد القاهر الجرجاني):..... 8

الفصل الأول: الوظيفة الإبلاغية للغة..... 11

المبحث الأول: اللغة العربية وخصائصها 12

أولا مفهوم اللغة:..... 12

ثانيا: خصائص اللغة العربية..... 14

المبحث الثاني: اللغة القرآنية وخصائصها 19

أولا: مفهوم اللغة القرآنية..... 19

ثانيا: خصائص اللغة القرآنية..... 22

1- **التعالي:**..... 22

2- **الشفافية:**..... 22

3- **التطابقية:**..... 23

4- **النسقية:**..... 23

ثالثا: المقارنة بين اللغة العربية واللغة القرآنية..... 23

الفصل الثاني: الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية..... 28

المبحث الأول: أسلوب الالتفات وسور الحواميم..... 28

أولا: التعريف بأسلوب الالتفات..... 28

فهرس الموضوعات

1-لغة:.....28

2-اصطلاحا:.....29

ثانيا: التعريف بسور الحواميم.....31

المبحث الثاني: الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية من خلال بلاغة أسلوب الالتفات في سور الحواميم.....38

أولا: بعض صور الالتفات الممكنة في سور الحواميم.....38

1-بين التكلم والخطاب:.....38

2-بين التكلم والغيبة:.....42

3-بين الخطاب والتكلم:.....46

4-بين الخطاب والغيبة:.....48

5-بين الغيبة والتكلم:.....52

6-بين الغيبة والخطاب:.....58

ثانيا: الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية من خلال بلاغة أسلوب الالتفات في "الحواميم" 64

ثالثا: جدول تفصيلي لصور الالتفات الممكنة في اللغة ووظيفتها الإبلاغية.....87

خاتمة.....97

قائمة المصادر والمراجع..... 100

الـــفـهـــرس..... 105

جدول لبعض المصطلحات البلاغية والقرآنية

مصطلحات بلاغية	مصطلحات قرآنية
* **الالتفات:** هو نقل التعبير الكلامي من وجهة أو اتجاه إلى آخر. * **العدول:** هو أن تحيل من شيء إلى شيء آخر فتقول عدلت عنه. * **الانزياح:** الخروج عن المألوف، والمعتاد، وتجاوز السائد، والمتعارف. * **الاعتراض:** معناه مأخوذ من تسميته، وهو ما يعرض بين شيئين. * **الانصراف:** هو حضور حصة معينة من المعنى المطلق إلى الذهن عند سماع اللفظ المطلق، على الرغم من اشتمال اللفظ على حصص أخرى من المعنى غير هذه الحصة. وهي مصطلحات بلاغية تدور جميعها حسب علماء البلاغة في مفهوم الالتفات.	* جل المصطلحات البلاغية هي مصطلحات قرآنية أيضا؛ وذلك لوجودها في القرآن الكريم أيضا، نجد: * سور "آل حم"، أو "ذوات حم"، أو "الحواميم": هي السور التي تفتح بـ "حم"، وهي سبع سور: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الخان، الجاثية، الأحقاف. * السور المكية: السور التي نزلت بمكة. * السور المدنية: السور التي نزلت بالمدينة. * السور السبع الطوال: وهي سبع سور طويلة، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والسابعة فيها خلاف فقيل: إنها براءة، وقيل يونس. * السور المئين: هي السور تلي السبع الطوال، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مئة آية أو تقاربها. * السور المثاني: هي السور التي تلي المئين، وسميت بالمثاني لأن المئين أوائل بالنسبة إليها. * السور المفصَّل: هي ما وليت المثاني من قصار السور، وسميت بالمفصل لكثرة الفصول فيها، ولقلة المنسوخ.

بعض الرموز والاختصارات الممكن إيجادها في المذكرة:

- تق: تقديم
- تح: تحقيق
- تع: تعليق
- مر: مراجعة
- تد: تدقيق
- شر: شرح
- تر: ترجمة
- ت: توفي

- ينظر: معناها أنه تم الاقتباس من كتاب ما لكن ذلك الاقتباس قد تم التدخل والتصرف فيه من قبل الباحث، بزيادة أو نقصان في ذلك المقتبس شرط بقاء المعنى المراد، وأيضا وجود ذلك المقتبس المتصرف فيه في الكتاب.

- /.../ : علامة ورمز الحذف داخل المقتبس الحرفي.

- " " : الشولتان للمقتبس الحرفي كما هو من دون تغيير فيه أي لا زيادة ولا نقصان فيه.

- ط: طبعة
- (د. ط): دون طبعة
- (د.ت): دون تاريخ
- (د. س): دون سنة وهما رمزان نجدهما في الكتب التي ليس فيها سنة أو تاريخ الطبعة.

- (د. م): دون مكان او دون بلد ونجدها في الكتب التي لم يتم ذكر البد الذي طبع او نشر فيه وهي نادرة وقليلة.

- مج: مجلد
- ج: جزء
- ص: صفحة

يبدو مصطلح "**الوظيفة الإبلاغية**" حديثا ومعاصرا، فقد ورد هذا الأخير عند رومان جاكبسون حينما وضع الوظائف السبعة للغة، فكان من بين تلك الوظائف الوظيفة الإبلاغية لكن المتأمل النموذجي لهذا المصطلح يجد غير ذلك، فقد ورد في الدراسات اللغوية العربية القديمة، وتعرض له علماء النحو واللغة آنذاك، لكن لم يطلقوا عليه هذه التسمية الحديثة ومن هنا كان موضع المذكرة موسوما بـــ: "**الوظيفة الإبلاغية للغة القرآنية أسلوب الالتفات-أنموذجا-**" لغاية الوصول إلى معرفة إذا ما كانت الوظيفة الإبلاغية المصطلح الحديث قديم النشأة هو نفسه ما جاء به العصران الغربي المعاصر والعربي القديم؟ وأيضا التطرق إلى كيفية إمكانية تطبيق هذا المصطلح في اللغة القرآنية، اللغة التي لم تسبقها ولم تلحقها أي لغة بشرية؛ وعليه كانت الدراسة بلاغية كلاسيكية ذات منهج وصفي تحليلي بحت معتمدة على أكثر الأساليب البلاغية المتجلية بكثرة في سور القرآن الكريم، ألا وهي "أسلوب الالتفات"، حيث استهدف الموضوع وضع أصابع البحث حول مواطن الالتفات من خلال سور "آل حم" المتمثلة في: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف وكذا استخراج الوظيفة الإبلاغية لكل سورة من خلال الوظيفة الإبلاغية لكل آية والمبينة لأسلوب الالتفات طبعا.

ليصل الموضوع في خاتمته أخيرا إلى أن الالتفات ساعد كثيرا في معرفة الوظيفة الإبلاغية لكل سورة من سور الذكر الحكيم، وهذه الوظيفة يمكن القول أنها نفسها في جميع السور فقط وجود اختلاف وظائف بعض الآيات المباركة لكل سورة، وهذا إن دل فهو يدل على الاعجاز البلاغي القرآني لكلام الله عز وجل، وأيضا ما تحدثت عنه الدراسة الغربية عن هذا المصطلح -جاكبسون- هو نفس ما ورد عند علماء النحو والعربية قديما.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الوظيفة الإبلاغية، القرآن الكريم، أسلوب الالتفات، بلاغة إعجاز بلاغي.